سورة قريش

وهي اربع آيات مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ۝ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۝﴾

﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ۝ إِيلَافِهِمْ﴾ اعلم أن ههنا مسائل:

المسألة الأولى: اللام في قوله: ﴿لِإِيلَافِ﴾ تحتمل وجوهًا ثلاثة، فإنها إما أن تكون متعلقة بالسورة التي قبلها أو بالآية التي بعدها، أو لا تكون متعلقة لا بما قبلها ولا بما بعدها:

أما الوجه الأول -وهو أن تكون متعلقة بما قبلها- ففيه احتمالات:

الأول: وهو قول الزجاج وأبي عبيدة أن التقدير: فجعلهم كعصف مأكول لإلف قريش، أي أهلك الله أصحاب الفيل لتبقى قريش، وما قد ألفوا من رحلة الشتاء والصيف. **فإن قيل:** هذا ضعيف لأنهم إنما جُعلوا كعصف مأكول لكفرهم ولم يُجعلوا كذلك لتأليف قريش، قلنا هذا السؤال ضعيف لوجوه: **أحدها:** أنا لا نسلِّم أن الله تعالى إنما فعل بهم ذلك لكفرهم، فإن الجزاء على الكفر مؤخر للقيامة، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾[غافر: ١٧] وقال: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾[فاطر: ٤٥] ولأنه تعالى لو فعل بهم ذلك لكفرهم، لكان قد فعل ذلك بجميع الكفار، بل إنما فعل ذلك بهم ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ ولتعظيم منصبهم وإظهار قدرهم. **وثانيها:** هب أن زجرهم عن الكفر مقصود لكن لا ينافي كون شيء آخر مقصود حتى يكون الحكم واقعًا بمجموع الأمرين معًا. **وثالثها:** هب أنهم أُهلكوا لكفرهم فقط، إلا أن ذلك الإهلاك لما أدى إلى إيلاف قريش، جاز أن يقال: أُهلكوا لإيلاف قريش، كقوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾[القصص: ٨] وهم لم يلتقطوه لذلك، لكن لما آل الأمر إليه حسن أن يمهد عليه الالتقاط.

الاحتمال الثاني: أن يكون التقدير: ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل لإيلاف قريش، كأنه تعالى قال: كل ما فعلنا بهم فقد فعلناه لإيلاف قريش، فإنه تعالى جعل كيدهم في تضليل وأرسل عليهم طيرًا أبابيل، حتى صاروا كعصف مأكول، فكل ذلك إنما كان لأجل إيلاف قريش.

الاحتمال الثالث: أن تكون اللام في قوله: ﴿لِإِيلَافِ﴾ بمعنى (إلى) كأنه قال: فعلنا كل ما فعلنا في السورة المتقدمة إلى نعمة أخرى عليهم وهي إيلافهم: رحلة الشتاء والصيف. تقول: نعمة الله نعمة ونعمة لنعمة سواء في المعنى، هذا قول الفراء:

فهذه احتمالات ثلاثة توجهت على تقدير تعليق اللام بالسورة التي قبل هذه، **وبقي من مباحث هذا القول أمران:**

الأول: أن للناس في تعليق هذه اللام بالسورة المتقدمة قولين: **أحدهما:** أن جعلوا السورتين سورة واحدة، واحتجوا عليه بوجوه: **أحدها:** أن السورتين لا بد وأن تكون كل واحدة منهما مستقلة بنفسها، ومطلع هذه السورة لما كان متعلقًا بالسورة المتقدمة وجب أن لا تكون سورة مستقلة. **وثانيها:** أن أُبي بن كعب جعلهما في مصحفه سورة واحدة. **وثالثها:** ما روي أن عمر قرأ في صلاة المغرب في الركعة الأولى ﴿وَٱلتِّينِ﴾ [التين: ١] وفي الثانية ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ و ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ معًا، من غير فصل بينهما ببسم الله الرحمن الرحيم. **القول الثاني:** وهو المشهور المستفيض أن هذه السورة منفصلة عن سورة الفيل، وأما تعلق أول هذه السورة بما قبلها فليس بحجة على ما قالوه؛ لأن القرآن كله كالسورة الواحدة وكالآية الواحدة يصدق بعضها بعضًا ويبين بعضها معنى بعض، ألا ترى أن الآيات الدالة على الوعيد مطلقة، ثم إنها متعلقة بآيات التوبة وبآيات العفو عند من يقول به، وقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ [القدر: ١] متعلق بما قبله من ذكر القرآن، وأما قوله: إن أُبيًّا لم يفصل بينهما فهو معارض بإطباق الكل على الفصل بينهما، وأما قراءة عمر فإنها لا تدل على أنهما سورة واحدة لأن الإمام قد يقرأ سورتين.

البحث الثاني فيما يتعلق بهذا القول: بيان أنه لم صار ما فعله الله بأصحاب الفيل سببًا لإيلاف قريش؟ **فنقول:** لا شك أن مكة كانت خالية عن الزرع والضرع، على ما قال تعالى: ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ﴾ إلى قوله: ﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [إبراهيم: ٣٧] فكان أشراف أهل مكة يرتحلون للتجارة هاتين الرحلتين، ويأتون لأنفسهم ولأهل بلدهم بما يحتاجون إليه من الأطعمة والثياب، وهم إنما كانوا يربحون في أسفارهم، ولأن ملوك النواحي كانوا يعظمون أهل مكة، ويقولون: هؤلاء جيران بيت الله وسكان حرمه وولاة الكعبة. حتى إنهم كانوا يسمون أهل مكة أهل الله، فلو تم للحبشة ما عزموا عليه من هدم الكعبة، لزال عنهم هذا العز ولبطلت تلك المزايا في التعظيم والاحترام، ولصار سكان مكة كسكان سائر النواحي يُتخطفون من كل جانب ويُتعرض لهم في نفوسهم وأموالهم، فلما أهلك الله أصحاب الفيل ورد كيدهم في نحرهم ازداد وقع أهل مكة في القلوب، وازداد تعظيم ملوك الأطراف لهم فازدادت تلك المنافع والمتاجر، فلهذا قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾ [الفيل: ١] ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ . . . ﴿رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ﴾ . **والوجه الثاني فيما يدل على صحة هذا القول:** أن قوله تعالى في آخر هذه السورة: ﴿فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝ ٱلَّذِىٓ﴾ [قريش: ٣، ٤] إشارة إلى أول سورة الفيل، كأنه قال: فليعبدوا رب هذا البيت الذي قصده أصحاب الفيل، ثم إن رب البيت دفعهم عن مقصودهم لأجل إيلافكم ونفعكم، لأن الأمر بالعبادة إنما يحسن مرتبًا على إيصال المنفعة، فهذا يدل على تعلق أول هذه السورة بالسورة المتقدمة.

القول الثاني: وهو أن اللام في: ﴿لِإِيلَٰفِ﴾ متعلقة بقوله: ﴿فَلْيَعْبُدُوا﴾ [قريش: ٣] وهو قول الخليل وسيبويه والتقدير: فليعبدوا رب هذا البيت لإيلاف قريش، أي: ليجعلوا عبادتهم شكرًا لهذه النعمة واعترافًا بها، **فإن قيل:** فلمَ دخلت الفاء في قوله: ﴿فَلْيَعْبُدُوا﴾؟ **قلنا:** لما في الكلام من معنى الشرط، وذلك لأن نعم الله عليهم لا تحصى، فكأنه قيل: إن لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه الواحدة التي هي نعمة ظاهرة.

القول الثالث: أن تكون هذه اللام غير متعلقة، لا بما قبلها ولا بما بعدها، قال الزجاج: قال قوم: هذه اللام لام التعجب، كأن المعنى: اعجبوا لإيلاف قريش، وذلك لأنهم كل يوم يزدادون غيًّا وجهلاً وانغماسًا في عبادة الأوثان، والله تعالى يؤلف شملهم ويدفع الآفات عنهم، وينظم أسباب معايشهم، وذلك لا شك أنه في غاية التعجب من عظيم حلم الله وكرمه، ونظيره في اللغة قولك لزيد وما صنعنا به، ولزيد وكرامتنا إياه وهذا اختيار الكسائي والأخفش والفراء.

المسألة الثانية: ذكروا في الإيلاف ثلاثة أوجه: **أحدها:** أن الإيلاف هو الإلف، قال علماء اللغة: ألفت الشيء وألفته إلفًا وإلافًا وإيلافًا بمعنى واحد، أي لزمته، فيكون المعنى لإلف قريش هاتين الرحلتين فتتصلا ولا تنقطعا، وقرأ أبو جعفر: (لِإِلْفِ قُرَيْشٍ). وقرأ الآخرون: (لِإِلاَفِ قُرَيْشٍ)، وقرأ عكرمة (لِيلاَفِ قُرَيْشٍ). **وثانيها:** أن يكون هذا من قولك: لزمت موضع كذا وألزمنيه الله، كما تقول: ألفت كذا، وألفنيه الله، ويكون المعنى إثبات الألفة بالتدبير الذي فيه لطف، ألف بنفسه إلفًا وآلفه غيره إيلافًا، والمعنى أن هذه الألفة إنما حصلت في قريش بتدبير الله وهو كقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٣] وقال: ﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣] وقد تكون المسرة سببًا للمؤانسة والاتفاق، كما وقعت عند انهزام أصحاب الفيل لقريش، فيكون المصدر ههنا مضافًا إلى المفعول، ويكون المعنى لأجل أن يجعل الله قريشًا ملازمين لرحلتيهم. **وثالثها:** أن يكون الإيلاف هو التهيئة والتجهيز، وهو قول الفراء وابن الأعرابي فيكون المصدر على هذا القول مضافًا إلى الفاعل، والمعنى لتجهيز قريش رحلتيها حتى تتصلا ولا تنقطعا، وقرأ أبو جعفر (لِيلاَفِ) بغير همز فحذف همزة الإفعال حذفًا كليًّا وهو كمذهبه في ﴿يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأنعام: ٥] وقد مر تقريره.

المسألة الثالثة: التكرير في قوله: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝ إِيلَٰفِهِمْ﴾ هو أنه أطلق الإيلاف أولاً ثم جعل المقيد بدلاً لذلك المطلق تفخيمًا لأمر الإيلاف وتذكيرًا لعظيم المنة فيه، والأقرب أن يكون قوله: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ عامًّا يجمع كل مؤانسة وموافقة كان بينهم، فيدخل فيه مقامهم وسيرهم وجميع أحوالهم، ثم خص إيلاف الرحلتين بالذكر لسبب أنه قوام معاشهم كما في قوله: ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَٰلَ﴾ [البقرة: ٩٨] وفائدة ترك واو العطف التنبيه على أنه كل النعمة، تقول العرب: ألفت كذا، أي لزمته، والإلزام ضربان: إلزام بالتكليف والأمر، وإلزام بالمودة والمؤانسة فإنه إذا أحب المرء شيئًا لزمه، ومنه: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ﴾ [الفتح: ٢٦] كما أن

الإلجاء ضربان: أحدهما: لدفع الضرر كالهرب من السبع، والثاني: لطلب النفع العظيم، كمن يجد مالاً عظيمًا ولا مانع من أخذه لا عقلاً ولا شرعًا ولا حسًّا، فإنه يكون كالمُلجأ إلى الأخذ، وكذا الدواعي التي تكون دون الإلجاء، مرة تكون لدفع الضرر وأخرى لجلب النفع، وهو المراد في قوله: ﴿إِۦلَٰفِهِمۡ﴾ .

المسألة الرابعة: اتفقوا على أن قريشًا ولد النضر بن كنانة، قال عليه الصلاة والسلام: «إِنَّا بَنِي النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ لا نَقْفُو أُمَّنَا وَلاَ نَنْتَفِي مِنْ أَبِينَا» وذكروا في سبب هذه التسمية وجوهًا: **أحدها:** أنه تصغير القرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن، ولا تنطلق إلا بالنار، وعن معاوية أنه سأل ابن عباس: بمَ سميت قريش؟ قال: بدابة في البحر تأكل ولا تؤكل، تعلو ولا تعلى. وأنشد:

وَقُرَيْشٌ هِيَ الَّتِي تَسْكُنُ الْبَحْـ ... ـرَ بِهَا سُمِّيَتْ قُرَيْشٌ قُرَيْشَا(١)

والتصغير للتعظيم، ومعلوم أن قريشًا موصوفون بهذه الصفات لأنها تلي أمر الأمة، فإن الأئمة من قريش. **وثانيها:** أنه مأخوذ من القرش وهو الكسب لأنهم كانوا كاسبين بتجاراتهم وضربهم في البلاد. **وثالثها:** قال الليث: كانوا متفرقين في غير الحرم، فجمعهم قُصي بن كلاب في الحرم حتى اتخذوها مسكنًا، فسموا قريشًا لأن التقرش هو التجمع، يقال: تقرش القوم، إذا اجتمعوا، ولذلك سمي قصي مجمعًا، قال الشاعر:

أَبُوكُمْ قُصَيٌّ كَانَ يُدْعَى مُجَمِّعًا ... بِهِ جَمَّعَ اللَّهُ الْقَبَائِلَ مِنْ فِهرِ(٢)

ورابعها: أنهم كانوا يسدون خلة محاويج الحاج، فسموا بذلك قريشًا؛ لأن القرش التفتيش، قال ابن حرة:

أَيُّهَا الشَّامِتُ الْمُقَرِّشُ عَنَّا ... عِنْدَ عَمْرٍو وَهَلْ لِذَاكَ بَقَاءُ

قوله تعالى: ﴿رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ﴾، فيه مسائل:

المسألة الأولى: قال الليث: الرحلة اسم الارتحال من القوم للمسير، وفي المراد من هذه الرحلة قولان: **الأول:** وهو المشهور، قال المفسرون: كانت لقريش رحلتان رحلة بالشتاء إلى اليمن لأن اليمن أدفأ وبالصيف إلى الشأم. وذكر عطاء عن ابن عباس أن السبب في ذلك هو أن قريشًا إذا أصاب واحدًا منهم مخمصة خرج هو وعياله إلى موضع وضربوا على أنفسهم خباء حتى يموتوا، إلى أن جاء هاشم بن عبد مناف، وكان سيد قومه، وكان له ابن يقال له: أسد،

(١) هذا البيت للأخضر اللهبي وهو الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب، من قريش. ؟ - ٩٥هـ/ ؟ - ٧١٣م، شاعر من فصحاء بني هاشم، كان معاصرًا للفرزدق والأحوص، وله معهما أخبار. ومدح عبد الملك بن مروان، وهو أول هاشمي مدح أمويًا بعد ما كان بينهما، فأكرمه، وكان شديد السمرة، جاءته من جدته وكانت حبشية، ويقال له (الأخضر) لذلك، واللهبي نسبة إلى أبي لهب، في شعره رقة، وهو دون الطبقة الأولى من معاصريه، توفي في خلافة الوليد بن عبد الملك.

(٢) هذا البيت للأخضر اللهبي وتقدمت ترجمته في البيت السابق.

وكان له ترب من بني مخزوم يحبه ويلعب معه، فشكا إليه الضرر والمجاعة، فدخل أسد على أمه يبكي فأرسلت إلى أولئك بدقيق وشحم فعاشوا فيه أيامًا، ثم أتى ترب أسد إليه مرة أخرى وشكا إليه من الجوع فقام هاشم خطيبًا في قريش، فقال: إنكم أجدبتم جدبًا تقلون فيه وتذلون، وأنتم أهل حرم الله وأشراف ولد آدم والناس لكم تبع. قالوا: نحن تبع لك فليس عليك منا خلاف. فجمع كل بني أب على الرحلتين في الشتاء إلى اليمن وفي الصيف إلى الشام للتجارات، فما ربح الغني قسمه بينه وبين الفقير حتى كان فقيرهم كغنيهم، فجاء الإسلام وهم على ذلك، فلم يكن في العرب بنو أب أكثر مالاً ولا أعز من قريش، قال الشاعر فيهم:

الْخَالِطِينَ فَقِيرَهُمْ بِغَنِيِّهِمْ حَتَّى يَكُونَ فَقِيرُهُمْ كَالْكَافِي[(١)]

واعلم أن وجه النعمة والمنة فيه أنه لو تم لأصحاب الفيل ما أرادوا، لترك أهل الأقطار تعظيمهم، وأيضًا لتفرقوا وصار حالهم كحال اليهود المذكور في قوله: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا﴾ [الأعراف: ١٦٨] واجتماع القبيلة الواحدة في مكان واحد أدخل في النعمة من أن يكون الاجتماع من قبائل شتى، ونبه تعالى أن من شرط السفر المؤانسة والألفة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ [الحج: ١٩٧] والسفر أحوج إلى مكارم الأخلاق من الإقامة.

القول الثاني: أن المراد رحلة الناس إلى أهل مكة، فرحلة الشتاء والصيف عمرة رجب وحج ذي الحجة لأنه كان أحدهما شتاء والآخر صيفًا، وموسم منافع مكة يكون بهما، ولو كان يتم لأصحاب الفيل ما أرادوا لتعطلت هذه المنفعة.

المسألة الثانية: نصب الرحلة بلإيلافهم مفعولاً به، وأراد رحلتي الشتاء والصيف، فأفرد لأمن الإلباس كقوله: كلوا في بعض بطنكم، وقيل: معناه رحلة الشتاء ورحلة الصيف، وقرئ (رُحلة) بضم الراء وهي الجهة.

قوله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣﴾

قوله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ﴾ اعلم أن الإنعام على قسمين: **أحدهما:** دفع الضرر، والثاني: جلب النفع، والأول أهم وأقدم، ولذلك قالوا: دفع الضرر عن النفس واجب أما جلب النفع (فإنه) غير واجب، فلهذا السبب بيَّن تعالى نعمة دفع الضرر في سورة الفيل ونعمة جلب النفع في هذه السورة، ولما تقرر أن الإنعام لا بد وأن يقابل بالشكر والعبودية، لا جرم أتبع ذكر النعمة بطلب العبودية فقال: ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟﴾، **وههنا مسائل:**

المسألة الأولى: ذكرنا أن العبادة هي التذلل والخضوع للمعبود على غاية ما يكون. ثم قال بعضهم: أراد فليوحدوا رب هذا البيت لأنه هو الذي حفظ البيت دون الأوثان، ولأن التوحيد مفتاح العبادات. ومنهم من قال: المراد العبادات المتعلقة بأعمال الجوارح. ثم ذكر كل قسم

(١) هذا البيت للشاعر عبد الله بن الزبعرى، وتقدمت ترجمته.

من أقسام العبادات، والأَوْلى حمله على الكل لأن اللفظ متناول للكل إلا ما أخرجه الدليل، وفي الآية وجه آخر، وهو أن يكون معنى (فليعبدوا) أي فليتركوا رحلة الشتاء والصيف وليشتغلوا بعبادة رب هذا البيت فإنه يطعمهم من جوع ويؤمنهم من خوف، ولعل تخصيص لفظ الرب تقرير لما قالوه لأبرهة: إن للبيت ربًّا سيحفظه، ولم يعولوا في ذلك على الأصنام، فلزمهم لإقرارهم أن لا يعبدوا سواه، كأنه يقول: لما عولتم في الحفظ عليَّ فاصرفوا العبادة والخدمة إليَّ.

المسألة الثانية: الإشارة إلى البيت في هذا النظم تفيد التعظيم، فإنه سبحانه تارة أضاف العبد إلى نفسه فيقول: ﴿يَـٰعِبَادِىَ﴾ [العنكبوت: ٥٦] وتارة يضيف نفسه إلى العبد فيقول: ﴿وَإِلَـٰهُكُمْ﴾ [البقرة: ١٦٣] كذا في البيت (تارة) يضيف نفسه إلى البيت وهو قوله: ﴿فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَـٰذَا ٱلْبَيْتِ﴾ وتارة يضيف البيت إلى نفسه فيقول: ﴿طَهِّرَا بَيْتِىَ﴾ [البقرة: ١٢٥]

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝﴾

ثم قال تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾ وفي هذا الإطعام وجوه: **أحدها:** أنه تعالى لما آمنهم بالحرم حتى لا يتعرض لهم في رحلتيهم كان ذلك سبب إطعامهم بعدما كانوا فيه من الجوع. **ثانيها:** قال مقاتل: شق عليهم الذهاب إلى اليمن والشام في الشتاء والصيف لطلب الرزق، فقذف الله تعالى في قلوب الحبشة أن يحملوا الطعام في السفن إلى مكة فحملوه، وجعل أهل مكة يخرجون إليهم بالإبل والخمر، ويشترون طعامهم من جدة على مسيرة ليلتين، وتتابع ذلك، فكفاهم الله مؤونة الرحلتين. **ثالثها:** قال الكلبي: هذه الآية معناها أنهم لما كذبوا محمدًا ﷺ دعا عليهم فقال: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسِنِي يُوسُفَ»[1] فاشتد عليهم القحط وأصابهم الجهد فقالوا: يا محمد ادع الله فإنا مؤمنون، فدعا رسول الله ﷺ فأخصبت البلاد وأخصب أهل مكة بعد القحط، فذاك قوله: ﴿أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾، **ثم في الآية سؤالات:**

السؤال الأول: العبادة إنما وجبت لأنه تعالى أعطى أصول النعم، والإطعام ليس من أصول النعم، فلمَ علل وجوب العبادة بالإطعام؟ **والجواب من وجوه: أحدها:** أنه تعالى لما ذكر إنعامه عليهم بحبس الفيل وإرسال الطير وإهلاك الحبشة، وبَيَّن أنه تعالى فعل ذلك لإيلافهم، ثم أمرهم بالعبادة، فكأن السائل يقول: لكن نحن محتاجون إلى كسب الطعام والذب عن النفس، فلو اشتغلنا بالعبادة فمن ذا الذي يطعمنا؟ فقال: الذي أطعمهم من جوع قبل أن يعبدوه، ألا يطعمهم إذا عبدوه؟! **وثانيها:** أنه تعالى بعد أن أعطى العبد أصول النعم أساء العبد إليه، ثم إنه يطعمهم مع ذلك، فكأنه تعالى يقول: إذا لم تستح من أصول النعم ألا تستحي من إحساني إليك

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في كتاب (الأدب) باب (تسمية الولد) (١٠/ ٥٩٦) حديث رقم (٦٢٠٠) من طريق أبي نعيم الفضل بن دكين عن سفيان، ولم يذكر أنها الركعة الثانية. ومسلم في كتاب (المساجد) باب (استحباب القنوت في جميع الصلاة) (١/ ٢٩٤/ ٤٦٦) من طريق ابن وهب عن يونس... به، وذكر فيه أنه يقول حين يفرغ من صلاة الفجر من القراءة... به، كلاهما (سفيان، يونس) عن الزهري... به.

بعد إساءتك؟! **وثالثها**: إنما ذكر الإنعام لأن البهيمة تطيع من يعلفها، فكأنه تعالى يقول: لست دون البهيمة.

السؤال الثاني: أليس أنه جعل الدنيا ملكًا لنا بقوله: ﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩] فكيف تحسن المنة علينا بأن أعطانا ملكنا؟ **الجواب**: انظر في الأشياء التي لا بد منها قبل الأكل حتى يتم الطعام ويتهيأ، وفي الأشياء التي لا بد منها بعد الأكل حتى يتم الانتفاع بالطعام المأكول، فإنك تعلم أنه لا بد من الأفلاك والكواكب، ولا بد من العناصر الأربعة حتى يتم ذلك الطعام، ولا بد من جملة الأعضاء على اختلاف أشكالها وصورها حتى يتم الانتفاع بالطعام، وحينئذٍ تعلم أن الإطعام يناسب الأمر بالطاعة والعبادة.

السؤال الثالث: المنة بالإطعام لا تليق بمن له شيء من الكرم، فكيف بأكرم الأكرمين؟ **الجواب**: ليس الغرض منه المنة، بل الإرشاد إلى الأصلح؛ لأنه ليس المقصود من الأكل تقوية الشهوة المانعة عن الطاعة، بل تقوية البنية على أداء الطاعات، فكأن المقصود من الأمر بالعبادة ذلك.

السؤال الرابع: ما الفائدة في قوله: ﴿مِّن جُوعٍ﴾؟ **الجواب**: فيه فوائد: **أحدها**: التنبيه على أن أمر الجوع شديد، ومنه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ﴾ [الشورى: ٢٨] وقوله ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ آمِنًا فِي سِرْبِهِ...»(١) الحديث. **وثانيها**: تذكيرهم الحالة الأولى الرديئة المؤلمة وهي الجوع حتى يعرفوا قدر النعمة الحاضرة. **وثالثها**: التنبيه على أن خير الطعام ما سد الجوعة لأنه لم يقل: وأشبعهم لأن الطعام يزيل الجوع، أما الإشباع فإنه يورث البطنة.

أما قوله تعالى: ﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾ **ففي تفسيره وجوه**: **أحدها**: أنهم كانوا يسافرون آمنين لا يتعرض لهم أحد، ولا يغير عليهم أحد لا في سفرهم، ولا في حضرهم، وكان غيرهم لا يأمنون من الغارة في السفر والحضر، وهذا معنى قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا﴾ [العنكبوت: ٦٧] **ثانيها**: أنه آمنهم من زحمة أصحاب الفيل. **وثالثها**: قال الضحاك والربيع: وآمنهم من خوف الجذام، فلا يصيبهم ببلدتهم الجذام. **ورابعها**: آمنهم من خوف أن تكون الخلافة في غيرهم **وخامسها**: آمنهم بالإسلام، فقد كانوا في الكفر يتفكرون، فيعلمون أن الدين الذي هم عليه ليس بشيء، إلا أنهم ما كانوا يعرفون الدين الذي يجب على العاقل أن يتمسك به. **وسادسها**: أطعمهم من جوع الجهل بطعام الوحي، وآمنهم من خوف الضلال ببيان الهدى، كأنه تعالى يقول: يا أهل مكة كنتم قبل مبعث محمد تُسَمَّون جهال العرب وأجلافهم، ومن كان ينازعكم كانوا يسمون أهل الكتاب، ثم أنزلتُ الوحي على نبيكم، وعلمتكم الكتاب والحكمة حتى صرتم الآن تُسَمَّون أهل العلم والقرآن، وأولئك يسمون جهال اليهود والنصارى، ثم إطعام الطعام الذي يكون غذاء

(١) تقدم تخريجه.

الجسد يوجب الشكر، فإطعام الطعام الذي هو غذاء الروح ألا يكون موجبًا للشكر؟! **وفي الآية سؤالات:**

السؤال الأول: لمَ لم يقل: عن جوع وعن خوف؟ **قلنا:** لأن معنى (عن) أنه جعل الجوع بعيدًا عنهم، وهذا يقتضي أن يكون ذلك التبعيد مسبوقًا بمقاساة الجوع زمانًا، ثم يصرفه عنه، و(من) لا تقتضي ذلك، بل معناه أنهم عندما يجوعون يطعمون، وحين ما يخافون يؤمنون.

السؤال الثاني: لمَ قال: من جوع، من خوف على سبيل التنكير؟ **الجواب:** المراد من التنكير التعظيم، أما الجوع فلما روينا: أنه أصابتهم شدة حتى أكلوا الجيف والعظام المحرقة. وأما الخوف، فهو الخوف الشديد الحاصل من أصحاب الفيل، ويحتمل أن يكون المراد من التنكير التحقير، يكون المعنى أنه تعالى لما لم يجوز لغاية كرمه إبقاءهم في ذلك الجوع القليل والخوف القليل، فكيف يجوز في كرمه لو عبدوه أن يهمل أمرهم؟! ويحتمل أن يكون المراد أنه: أطعمهم من جوع دون جوع: وآمنهم من خوف دون خوف، ليكون الجوع الثاني، والخوف الثاني مذكرًا ما كانوا فيه أولاً من أنواع الجوع والخوف، حتى يكونوا شاكرين من وجه، وصابرين من وجه آخر، فيستحقوا ثواب الخصلتين.

السؤال الثالث: أنه تعالى إنما أطعمهم وآمنهم إجابة لدعوة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، أما في الإطعام فهو قوله: ﴿وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ﴾ [البقرة: ١٢٦] وأما الأمان فهو قوله: ﴿ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا﴾ [إبراهيم: ٣٥] وإذا كان كذلك كان ذلك منة على إبراهيم عليه السلام، فكيف جعله منة على أولئك الحاضرين؟ **والجواب:** أن الله تعالى لما قال: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ﴾ [البقرة: ١٢٤] قال إبراهيم: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ﴾ فقال الله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤] فنادى إبراهيم بهذا الأدب، فحين قال: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [البقرة: ١٢٦] قيده بقوله: ﴿مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ﴾ فقال الله: لا حاجة إلى هذا التقييد، بل ومن كفر فأمتعه قليلاً، فكأنه تعالى قال: أما نعمة الأمان فهي دينية فلا تحصل إلا لمن كان تقيًا، وأما نعمة الدنيا فهي تصل إلى البر والفاجر والصالح والطالح، وإن كان كذلك كان إطعام الكافر من الجوع وأمانه من الخوف إنعامًا من الله ابتداء عليه لا بدعوة إبراهيم، فزال السؤال.

والله سبحانه وتعالى أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

تفسير سورة «قريش»

مكيةٌ في قولِ الجمهور. ومدنيةٌ في قولِ الضحاكِ والكلبيّ(٢)، وهي أربعُ آيات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١﴾

قيل: إنَّ هذه السورةَ متَّصلةٌ بالتي قبلها في المعنى؛ يقول: أهلكتُ أصحابَ الفيلِ لإيلاف قريش؛ أي: لتأتَلفَ قريش، أو لتتَّفقَ قريش، أو لكي تأمَن قريشٌ فتُؤْلِف(٣) رحلتيها. وممن عدَّ السورتين واحدةً أبيّ بن كعب، ولا فَصْلَ بينهما في مُصْحَفِه(٤). وقال سفيان بن عيينة: كان لنا إمامٌ لا يَفْصِلُ بينهما، ويقرؤهما معا.

وقال عمرو بن ميمون الأَوْدِيُّ: صلَّينا المغربَ خَلْفَ عمرَ بنِ الخطاب ﷺ؛ فقرأ في الأولى: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ وفي الثانية: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ﴾ و﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾(٥).

---

(٢) زاد المسير ٩/ ٢٣٨ .

(٣) يعني تأْلَف؛ يقال: أَلِف يَأْلَف، وآلَف يؤلِف، وسيأتي.

(٤) الكشاف ٤/ ٢٨٧ ، وتفسير البغوي ٤/ ٥٢٩ .

(٥) سلف ص٣٦٧ من هذا الجزء. قال الرازي ٣٢/ ١٠٤ : أما قراءة عمر فإنها لا تدل على أنهما سورة واحدة لأن الإمام قد يقرأ سورتين. وأما القول أن أبيًّا لم يفصل بينهما فهو معارَضٌ بإطباق الكل على الفصل بينهما.

وقال الفرَّاء: هذه السورةُ متّصلةٌ بالسورة الأولى؛ لأنه ذكَّر أهلَ مكةَ عظيمَ نعمتِه عليهم فيما فَعَلَ بالحبشة، ثم قال: «لإيلاف قُريش» أي: فعلنا ذلك بأصحاب الفيل نعمةً منّا على قريش[١].

وذلك أنَّ قريشًا كانت تخرج في تجارتها، فلا يُغارُ عليها ولا تُقْرَبُ في الجاهلية. يقولون: هم أهلُ بيتِ اللهِ جلَّ وعزَّ، حتى جاء صاحبُ الفيلِ ليهدمَ الكعبة، ويأخذَ حجارتها فيبني بها بيتاً في اليمن يَحُجُّ الناس إليه، فأهلكهم الله عزَّ وجلَّ، فذكَّرهم نِعْمتَه، أي: فجعل الله ذلك لإيلاف قريش، أي: ليألَفوا الخروجَ ولا يُجْتَرأ عليهم، وهو معنى قولِ مجاهدٍ، وابنِ عباس في رواية سعيد بن جبير عنه؛ ذكره النحاس: حدَّثنا أحمد بن شُعيب، قال: أخبرني عمرو بن عليٍّ، قال: حدَّثني عامر بنُ إبراهيم ـ وكان ثقةً من خيار الناس ـ قال: حدَّثني خطاب بنُ جعفر بن أبي المغيرة، قال: حدَّثني أبي، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، في قوله تعالى: «لإيلافِ قريشٍ» قال: نعمتي على قريشٍ إيلافُهُمْ رحلةَ الشتاءِ والصيف. قال: كانوا يَشْتون بمكة، ويَصِيفون بالطائف[٢]. وعلى هذا القولِ يجوزُ الوقفُ على رؤوس الآي وإنْ لم يكن الكلام تامًّا، على ما نبيِّنه أثناء السورة.

وقيل: ليست بمتَّصلةٍ؛ لأنَّ بين السورتين: «بسم الله الرحمن الرحيم»، وذلك دليلٌ على انقضاء السورةِ وافتتاح الأخرى، وأنَّ اللامَ متعلِّقةٌ بقوله تعالى: «فلْيعبدوا»، أي: فليعبدوا هؤلاء ربَّ هذا البيت، لإيلافهم رحلةَ الشتاء والصيف للامتيار.[٣] وكذا قال الخليل: ليست متَّصلةً، كأنه قال: آلَف الله قريشًا إيلافًا فليعبدوا ربَّ هذا البيت[٤]. وعَمِل ما بعدَ الفاء فيما قَبْلَها لأنَّها زائدةٌ غيرُ عاطفةٍ،

---

(١) بنحوه في معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٩٢.

(٢) السنن الكبرى للنسائي (١١٦٣٥)، وأخرجه الطبري ٢٤/ ٦٤٨ مختصراً عن عمرو بن علي به.

(٣) أي: لجلب الطعام. القاموس (مير). والكلام بنحوه في معاني القرآن للزجاج ٥/ ٣٦٥.

(٤) مشكل إعراب القرآن ٢/ ٨٤٥، وينظر الكتاب ٣/ ١٢٧.

كقولك: زيداً فاضْرِبْ.

وقيل: اللامُ في قوله تعالى: «لإيلافِ قريش» لامُ التعجُّبِ، أي: اعْجَبوا لإيلافِ قريش [رحلةَ الشتاء والصيف، وتَرْكِهم عبادةَ ربِّ هذا البيت]؛ قاله الكسائيُّ والأخفش[١]. وقيل: بمعنى إلى[٢].

وقرأ ابن عامر: «لإلافِ قريشٍ» مهموزاً مختلَساً بلا ياء[٣]. وقرأ أبو جعفر والأعرج: «لِيْلَافِ»[٤] بلا همزٍ طَلَباً للخفَّة. الباقون: «لإيلاف» بالياء مهموزاً مُشْبَعاً، من آلَفْتُ أُولِفُ إيلافاً؛ قال الشاعر:

المُنْعِمِين إذا النجومُ تغيَّرتْ والظَّاعنينَ لرحلةِ الإيلافِ[٥]

ويقال: أَلِفْتُه إلْفاً وإلافاً. وقرأ أبو جعفر أيضاً: «لإِلْفِ قُرَيشٍ»[٦] وقد جمعهما مَن قال:

زَعَمْتُمْ أنَّ إخوتَكُمْ قُرَيشٌ لهم إلْفٌ وليس لكم إلافُ[٧]

قال الجوهريُّ[٨]: وفلانٌ قد أَلِفَ هذا الموضعَ - بالكسر - يَأْلَفه إلْفًا، وآلَفَه إياه

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٥٢٩ ، وما بين حاصرتين منه، وذكر هذا القول ابن الجوزي في زاد المسير ٩/ ٢٣٩ عن الكسائي والأعمش، وهو دون نسبة في إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٢٩٣ ، ومشكل إعراب القرآن ٢/ ٨٤٥ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٥٢٦ .

(٢) والمعنى: ففَعَلْنا بأصحاب الفيل هذا الفعلَ نعمةً منا على أهل هذا البيت، إلى نعمتنا عليهم في رحلة الشتاء والصيف. ينظر معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٩٣ ، وتفسير الطبري ٢٤/ ٦٤٧ .

(٣) السبعة ص ٦٩٨ ، والتيسير ص ٢٢٥ .

(٤) النشر ٢/ ٤٠٣ .

(٥) البيت لمطرود بن كعب الخزاعي، كما في سيرة ابن هشام ١/ ٥٦ و١٧٨ .

(٦) الكشاف ٤/ ٢٨٧ ، وتفسير الرازي ٣٢/ ١٠٥ .

(٧) البيت لمسَاوِر بن هند، كما في شرح ديوان الحماسة للتبريزي ٤/ ١٢ ، والخزانة ١١/ ٤١٩ ، ودون نسبة في دلائل الإعجاز للجرجاني ص ٢٣٦ ، وثمار القلوب للثعالبي ص ١١٧ ، والكشاف ٤/ ٢٨٧ ، والكلام منه. والشعر في هجاء بني أسد، قال التبريزي: يقول: زعمتم أنكم مثل قريش، وكيف تكونون مثلهم ولهم تجارة اليمن والشام وليس لكم ذلك.

(٨) في الصحاح (ألف).

غيرُه. ويقال أيضاً: آلَفتُ الموضعَ أُولِفه إيلافًا. وكذلك: آلَفْتُ الموضعَ أؤالفُه مُؤالفةً وإلافًا، فصار صورةُ أَفْعلَ وفاعَلَ في الماضي واحدةً.

وقرأ عِكرمةُ: «لِيَأْلَفْ» بفتح اللامِ على الأمر ـ وكذلك هو في مصحفِ ابن مسعود ـ وفتحُ لامِ الأمرِ لغةٌ حكاها ابنُ مجاهدٍ وغيره[١]. وكان عكرمةُ يَعيبُ على مَن يقرأ: «لإيلاف قريش»[٢].

وقرأ بعضُ أهلِ مكة: «إلاف قريش» واسْتَشْهَد بقولِ أبي طالبٍ يوصي أخاه أبا لهبٍ برسول الله ﷺ:

فَلا تُتْرِكَنْه ما حَيِيْتَ لِمُعْظَمٍ وكُنْ رجلاً ذا نَجْدةٍ وعَفافِ
تَذودُ العِدا عن عُصْبةٍ هاشميةٍ إلَافُهم في الناس خيرُ إلَافِ[٣]

وأمَّا قريشٌ فهم بنو النَّضْر بنِ كنانَة بنِ خزيمةَ بنِ مدرِكَة بن إلياسَ بنِ مُضَر. فكلُّ مَن كان مِن وَلدِ النضرِ فهو قرشيٌّ، دون بني كِنانَة ومَن فوقه. وربَّما قالوا: قُرَيْشِيّ، وهو القياسُ؛ قال الشاعر:

بكلِّ قُرَيْشِيٍّ عليه مَهابةٌ[٤]

فإنْ أردتَ بقريشٍ الحيَّ صَرَفْتَه، وإنْ أردتَ به القبيلةَ لم تَصْرِفْه؛ قال الشاعر:

وكَفَى قُرَيشَ المُعْضِلاتِ وسادَها[٥]

---

(١) القراءات الشاذة ص ١٨٠، دون قوله: وكذلك هو في مصحف ابن مسعود.

(٢) النكت والعيون ٦/ ٣٤٦.

(٣) النكت والعيون ٦/ ٣٤٦، وسلفت القراءة عن ابن عامر، والبيتان ذكرهما ابن إسحاق في السير والمغازي ص ٢٠٨، وفيه أن أبا طالب قالهما في مدح عتبة بن ربيعة حين رد على أبي جهل فقال: ما تنكِرُ أن يكون محمد نبيًّا.

(٤) وعجزه: سريعٍ إلى داعي الندى والتكرُّم. وهو في الكتاب ٣/ ٣٣٧، والصحاح (قرش) والكلام منه، والحلل في شرح أبيات الجمل للبطليوسي ص ٣٣٨، والإنصاف لابن الأنباري ١/ ٣٥٠، وشرح المفصل ٦/ ١١. ووقع في الكتاب: بكل قريشي إذا ما لقيته...، وقال البطليوسي: لا أعلم قائله.

(٥) وصدره: غلب المساميحَ الوليدُ سماحة، كما في الصحاح (قرش)، والكلام منه، والبيت لعدي بن الرقاع، كما في الكامل للمبرد ٢/ ١٠٤٦، وشرح شواهد الكتاب للشنتمري ص ٤٦٠، والخزانة ١/ ٢٠٣، ودون نسبة في الكتاب ٣/ ٢٥٠. والبيت في: مدح الوليد بن عبد الملك كما ذكر الشنتمري وقال: والمساميح جمع سَمْح على غير قياس.

والتَّقْريش: الاكتساب، وتَقَرَّشوا، أي: تَجمَّعوا. وقد كانوا متفرِّقين في غير الحرم، فجمعهم قُصَيّ بنُ كلاب في الحرم، حتى اتَّخذوه مَسْكناً؛ قال الشاعر:

أبونا قُصَيٌّ كان يُدْعَى مَجَمِّعًا به جَمَعَ اللهُ القبائلَ من فِهرِ[١]

وقد قيل: إنَّ قريشاً بنو فِهْر بنِ مالك بن النَّضر. فكلُّ مَن لم يَلِدْه فِهْرٌ فليس بقرشيٍّ. والأوّلُ أصحُّ وأَثْبتُ. وقد روي عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «إنَّا ولدُ النضرِ بنِ كنانَة لا نَقْفو أُمَّنا، ولا نَنْتفي من أبِينا»[٢]. وقال واثلةُ بنُ الأسْقَعِ: قال النبيُّ ﷺ: «إنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانةَ مِن وَلَدِ إسماعيلَ، واصْطَفَى من بني كنانةَ قريشاً، واصْطَفَى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم». صحيحٌ ثابتٌ، خرَّجه البخاريُّ ومسلمٌ وغيرُهما[٣].

واختُلِف في تَسْمِيتهم قريشاً على أقوال: أحدها: لتَجَمُّعِهم بعد التفرُّقِ، والتقرُّش: التجمُّع والالتئام. قال أبو جِلْدَةَ اليَشْكُريُّ:

إخوةٌ قَرَّشُوا الذنوبَ علينا في حديثٍ مِن دَهْرِهمْ وقديمِ[٤]

الثاني: لأنَّهم كانوا تجاراً يأكلون من مكاسبهم. والتَّقرُّش: التكسُّب[٥]. وقد قَرَشَ يَقْرِشُ قَرْشاً، إذا كسب وجمع. قال الفرَّاء: وبه سمِّيت قُريش[٦].

الثالث: لأنَّهم كانوا يفتِّشون الحاجَّ عن[٧] ذي الخَلَّةِ، فيسدُّون خَلَّته. والقَرْش: التفتيش. قال الشاعر:

---

(١) نسب لمطرود بن كعب الخزاعي، كما في زهر الآداب للقيرواني ١/ ٢٥٠ ، والأوائل للعسكري ١/ ١٣ . ونسبه محمد بن حبيب في المنمق ص ٨٤ لحذافة بن غانم. ونسبه صاحب الخزانة ١/ ٢٠٣ للفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب. وهو دون نسبة في سيرة ابن هشام ١/ ١٢٦ ، والاشتقاق ص ١٥٥ ، ووقع في بعض المصادر: أبوكم قصي، وفي أخرى: قصي أبوكم، وفي السيرة: قصي لعمري.

(٢) أخرجه أحمد (٢١٨٣٩)، وابن ماجه (٢٦١٢) من حديث الأشعث بن قيس ﷺ، وسلف ١٣/ ٧٨ .

(٣) صحيح مسلم (٢٢٧٦)، وهو عند أحمد (١٦٩٨٦)، وليس في صحيح البخاري، وسلف ١٠/ ٤٤٠ .

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٩٤ ، والنكت والعيون ٦/ ٣٤٦ .

(٥) النكت والعيون ٦/ ٣٤٦ .

(٦) الصحاح (قرش).

(٧) في (م): من، والمثبت من النسخ الخطية، والنكت والعيون ٦/ ٣٤٦ ، والكلام منه.

أَيُّـهـا الـشـامـتُ الـمـقـرِّشُ عـنـا عـنـد عـمـرو فـهـلْ لـه إبـقـاءُ[١]

الرابع: ما روي: أنَّ معاوية سأل ابن عباس: لم سُمِّيتْ قريشٌ قريشاً؟ فقال: لدابَّةٍ في البحر من أقوى دوابِّه، يقال لها: القِرش، تأكل ولا تؤكل، وتعلو ولا تُعْلَى. وأنشد قولَ تُبَّع:

وقـريـشٌ هـي الـتـي تـسـكـنُ الـبـحـ ـرَ بـهـا سـمِّـيـتْ قـريـشٌ قـريـشـا

تـأكـلُ الـغَـثَّ[٢] والـسـمِـيـنَ ولا تـتـ ـرك فـيـهـا لـذي جـنـاحـيـن رِيـشـا

هـكـذا فـي الـبـلاد حـيُّ قُـرَيـشٍ يـأكـلـون الـبـلادَ أكـلاً كـمِـيـشـا

ولـهـم آخـرَ الـزمـانِ نـبـيٌّ يُـكْـثِـرُ الـقـتـلَ فـيـهـم والـخُـمـوشـا[٣]

قوله تعالى: ﴿إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢﴾

قرأ مجاهدٌ وحميد: «إلْفِهم» ساكنةَ اللامِ بغيرِ ياءٍ. وروي نحوُه عن ابن كثير[٤]. وكذلك روتْ أسماءُ أنَّها سمعتْ رسولَ الله ﷺ يقرأ: «إلفِهم»[٥]. وروي عن ابن عباس وغيره.

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٣٤٦ ، والبيت من معلقة الحارث بن حلِّزة اليشكري، وهو في المعاني الكبير لابن قتيبة ٢/ ٨٧٢ ، وتهذيب اللغة ٨/ ٣٢٢ ، وشرح المعلقات للنحاس ٢/ ٦٣ ، وللتبريزي ص ٢٩٩ ، وللزوزني ص ١٥٨ ، وروايته في هذه المصادر: أيها الناطق... وهل لذاك بقاء، ووقع في شروح المعلقات والمعاني الكبير: المرقِّش، والمقرِّش رواية أبي عمرو كما ذكر ابن قتيبة، وقال: هو المحرش. وقال التبريزي: المرقِّش: المزيِّن القولَ بالباطل، ويقال: إنه يخاطب بها عمرو بن كلثوم، ومعنى وهل لذاك بقاء: أن الباطل لا يبقى.

(٢) في النسخ: الرث، والمثبت من المصادر على ما يأتي.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (١٠٥٨٩)، والواحدي في الوسيط ٤/ ٥٥٦ ، وذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٣٠٠ - ٣٠١ ، ونسب المرزباني الشعر في معجم الشعراء ص ٤٣٦ للمُشَمْرج بن عمرو الحميري، قال: وقد روي لغيره. وذكر ياقوت في معجم البلدان ٤/ ٣٣٦ - ٣٣٧ هذا الخبر مختصراً وقال: وهذا الوجه عندي بارد، والشعر مصنوع جامد.

(٤) القراءات الشاذة ص ١٨٠ .

(٥) أخرجه حفص الدوري في قراءات النبي ﷺ (١٣٣)، والطبري ٢٤/ ٦٤٧ ، وذكره ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ١٨٠ ، وفي إسناده ليث بن أبي سليم وشهر بن حوشب وهما ضعيفان.

وقرأ أبو جعفر والوليد عن أهل الشام وأبو حيوَةَ: «إلَافِهم» مهموزًا مختلَساً بلا ياءٍ[١].

وقرأ أبو بكر عن عاصم: «إئْلافهم» بهمزتين، الأولى مكسورةٌ والثانيةُ ساكنة. والجمعُ بين الهمزتين في الكلمتين شاذٌّ[٢].

الباقون: «إيلافهم» بالمدِّ والهمز، وهو الاختيارُ، وهو بدلٌ من الإيلاف الأوّلِ للبيان. وهو مصدرُ آلَفَ: إذا جَعَلْته يَألَفُ. وأَلِفَ هو إلْفًا؛ على ما تقدَّم ذِكْرُه من القراءة، أي: وما قد أَلِفوه من رحلةِ الشتاءِ والصيف.

روى ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى: «إيلافِهم رِحلةَ الشتاء والصيف» قال: لا يشُقُّ عليهم رحلةُ شتاءٍ ولا صيفٍ، منَّة منه على قريش[٣].

وقال الهَرَوِيُّ وغيره: وكان أصحابُ الإيلافِ أربعةَ إخوةٍ: هاشمٌ، وعبدُ شمسٍ، والمطَّلبُ، ونوفلٌ، بنو عبد مناف. فأمَّا هاشمٌ فإنَّه كان يُؤلفُ مَلِك الشام[٤]؛ أي: أخذ منه حبلاً وعهداً يأمنُ به في تجارته إلى الشام. وأخوه عبدُ شمسٍ كان يُؤلفُ إلى الحَبشة. والمطَّلبُ إلى اليمن. ونوفل إلى فارس. ومعنى يُؤلفُ: يُجير. فكان هؤلاء الإخوة يسمَّوْن المُجِيرين. فكان تجارُ قريش يختلفون إلى الأمصار بحَبْلِ هؤلاء الإخوة، فلا يُتَعَرَّضُ لهم[٥].

قال الأزهريُّ: الإيلاف: شبهُ الإجازةِ بالخَفَارة[٦]؛ يقال: آلَفَ يُؤْلِف وأَلَّف

(١) النشر ٢/ ٤٠٣.

(٢) قال ابن مجاهد في السبعة ص٦٩٨ : قرأ عاصم في رواية أبي بكر: «لإئلاف قريش إئلافهم» بهمزتين الثانية ساكنة، ثم رجع عنه فقرأ مثل حمزة بهمزة واحدة. اهـ. وقراءة حمزة: «لإيلاف قريش إيلافهم». والقراءة بهمزتين ذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ١٨٠ .

(٣) ذكره البخاري معلقاً قبل الحديث (٤٩٦٤)، ووصله الطبري ٢٤/ ٦٤٨ .

(٤) في تهذيب اللغة ١٥/ ٣٧٩ (والكلام فيه بنحوه): يؤلف إلى الشام.

(٥) بنحوه في تهذيب اللغة ١٥/ ٣٧٩ .

(٦) لم نقف عليه في تهذيب اللغة، وقاله الصَّغاني في العباب (ألف)، ووقع في (ظ) و(م) و(ي): الإجارة، بدل: الإجازة، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في العباب والقاموس والتاج (ألف). والخَفَارة: الأمان. المعجم الوسيط (خفر).

يؤلِّف: إذا أجاز[١] الحمائل بالخَفارة. والحمائل: جمع حَمولة[٢]. قال[٣]: والتأويل: أنَّ قُريشاً كانوا سكَّان الحرم، ولم يكن لهم زَرْعٌ ولا ضَرْعٌ، وكانوا يَمِيرون في الشتاء والصيف آمنين، والناسُ يُتَخَطَّفون مِن حولهم، فكانوا إذا عَرَض لهم عارِضٌ قالوا: نحن أهلُ حَرَمِ الله، فلا يَتَعَرَّضُ الناسُ لهم.

وذكر أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا في تفسيره[٤]: حدَّثنا سعيد بن محمد، عن بكر بن سهل الدِّمياطيِّ، بإسناده إلى ابن عباس، في قول الله عز وجل: «لإيلافِ قُرَيْش إلفِهم رحلةَ الشتاء والصيف»: وذلك أنَّ قريشاً كانوا إذا أصابت واحداً منهم مخمصةٌ، جرى هو وعيالُه إلى موضعٍ معروف، فضربوا على أنفسهم خِباءً فماتوا، حتى كان عمرو بنُ عبد منافٍ، وكان سيداً في زمانه، وله ابن يقال له: أسَد، وكان له تِرْبٌ من بني مخزوم يحبُّه ويلعبُ معه. فقال له: نحن غداً نَعْتَفِد[٥]. قال ابن فارس: هذه لفظةٌ في هذا الخبر لا أدري: بالدال هي أم بالراء، فإنْ كانت بالراء فلعلَّها من العَفَر، وهو التراب، وإن كانت بالدَّال، فما أدري معناها، وتأويلُه على ما أظنُّه: ذهابُهم إلى ذلك الخباءِ، وموتُهم واحداً بعد واحدٍ[٦].

قال: فدخل أسدٌ على أمِّه يبكي، وذَكَر ما قاله تِرْبُه. قال: فأرسلتْ أمُّ أسدٍ إلى أولئك بشحمٍ ودقيق، فعاشوا به أياماً. ثم إنَّ تِرْبَه أتاه أيضاً فقال: نحن غداً نَعتفِد[٧]، فدخل أسدٌ على أبيه يبكي، وخبَّره خَبَرَ تِرْبِه، فاشتدَّ ذلك على عمرو بن عبد مناف،

---

(١) في النسخ عدا (د): أجار، والمثبت من (د).

(٢) وهي ما احتمل عليه القوم من بعير وحمار ونحوه، والأحمالُ بعينها. القاموس (حمل).

(٣) هو الصَّغاني في العباب (ألف).

(٤) واسمه: جامع التأويل في تفسير القرآن، كما في طبقات المفسرين للداودي ١/ ٦٠.

(٥) في النسخ الخطية: نعتفر، والمثبت من (م)، وينظر تهذيب اللغة ٢/ ٢٢٥، وأساس البلاغة (عفد).

(٦) وذكر هذا المعنى ـ في نعتفد ـ الأزهري في تهذيب اللغة ٢/ ٢٢٥، والزمخشري في أساس البلاغة (عفد).

(٧) في النسخ الخطية (نعتفر).

فقام خطيباً في قريش، وكانوا يطيعون أمره، فقال: إنَّكم أَحْدَثْتُم حَدَثاً تَقِلُّون فيه وتكثُرُ العرب، وتَذِلُّون وتَعِزُّ العرب، وأنتم أهلُ حرمِ اللهِ جلَّ وعزَّ، وأشرفُ ولدِ آدَمَ، والناسُ لكم تَبَعٌ، ويكاد هذا الاعتفادُ يأتي عليكم. فقالوا: نحن لك تَبَعٌ. قال: ابتدئوا بهذا الرجل - يعني أبا تِرْبِ أسد - فأَغْنُوه عن الاعتفاد، ففعلوا. ثم إنَّه نحر البُدْنَ، وذبح الكِبَاشَ والمَعْزَ، ثم هَشَم الثَّرِيد، وأطعم الناس، فسمِّي هاشماً. وفيه قال الشاعر:

عمرو الذي هَشَم الثَّريدَ لقومه ورجالُ مكةَ مُسْنِتون عِجافُ[1]

ثم جمع كلَّ بني أبٍ على رحلتين: في الشتاء إلى اليمن، وفي الصيف إلى الشام للتجارات، فما ربح الغنيُّ قَسَمه بينه وبين الفقير، حتى صار فقيرُهم كغنيِّهم، فجاء الإسلامُ وهم على هذا، فلم يكن في العرب بنو أبٍ أكثرَ مالاً ولا أعزَّ من قريش، وهو قولُ شاعرِهم:

والخالطون فقيرَهم بغنيِّهم حتى يصيرَ فقيرُهم كالكافي[2]

فلم يزالوا كذلك حتى بعث الله رسولَه محمداً ﷺ، فقال: «فليعبدوا ربَّ هذا البيتِ الذي أَطعمهم مِن جوع[3] وآمنهم مِن خوفٍ» أنْ تكثُر العربُ ويَقِلُّوا.

قوله تعالى: ﴿رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ﴾ «رِحلَةَ» نصب بالمصدر، أي: ارتحالهم رِحلةَ، أو بوقوع «إيلافهم» عليه. أو على الظرف. ولو جعلتَها في محلِّ الرفع، على

(١) سلف ٩/ ٣٠٤ عن عبد الله بن الزبعرى، وهو في ملحقات ديوانه ص ٥٣، ونسب لمطرود بن كعب الخزاعي، كما في المنمق لابن حبيب ص ١٢، والاشتقاق ص ١٣. وأسنتوا: أجدبوا. القاموس (سنت).

(٢) البيت لمطرود بن كعب الخزاعي، كما في سيرة هشام ١/ ١٧٨، وأمالي المرتضى ٢/ ٢٦٨، والحماسة البصرية ١/ ١٥٥، وقال البصري: ويروى لابن الزبعرى، والأول أكثر. وهو في ملحقات ديوان ابن الزبعرى ص ٥٤. وقد ذكر هذا الخبر بنحوه عن ابن عباس الرازي ٣٢/ ١٠٧، وأخرجه الزبير بن بكار بنحوه أيضاً عن عمر بن عبد العزيز، كما في الدر المنثور ٦/ ٣٩٧.

(٣) بعدها في (م): بصنيع هاشم.

معنى: هما رِحلةُ الشتاءِ والصيف، لجاز. والأوّل أولى.

والرحلةُ: الارتحالُ، وكانت إحدى الرحلتين إلى اليمن في الشتاء، لأنَّها بلادٌ حاميةٌ، والرحلةُ الأخرى في الصيف إلى الشام، لأنَّها بلادٌ باردة[١].

وعن ابن عباس أيضاً قال: كانوا يَشْتون بمكةَ لدِفئها، ويَصِيفون بالطائف لهوائها[٢]. وهذه من أجلِّ النعم أن يكون للقوم ناحيةُ حرٍّ تدفعُ عنهم بردَ الشتاء، وناحيةُ بردٍ تدفع عنهم حرَّ الصيف، فذكَّرهم الله تعالى هذه النعمة. وقال الشاعر:

تَشْتي بمكةَ نَعْمَةً ومَصِيفُها بالطَّائِفِ[٣]

وهنا أربعُ مسائل:

الأولى: اختار القاضي أبو بكر بن العربيّ[٤] وغيرُه من العلماء أنَّ قولَه تعالى: «لإيلافِ» متعلِّقٌ بما قبله. ولا يجوزُ أن يكون متعلِّقاً بما بعده، وهو قولُه تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ﴾ قال: وإذا ثبت أنَّه متعلِّقٌ بالسورة الأخرى - وقد قُطع عنه بكلامٍ مبتدأ، واستئنافِ بيانٍ، وسطرِ «بسم الله الرحمن الرحيم» - فقد تبيَّن جوازُ الوقفِ في القراءة للقرَّاء قبل تمامِ الكلام، وليست المواقفُ التي ينزعُ[٥] بها القُرَّاء شرعاً عن النبيِّ ﷺ مرويًّا، وإنَّما أرادوا به تعليمَ الطلبةِ المعانيَ، فإذا عَلِموها وقفوا حيث شاؤوا. فأمَّا الوقفُ عند انقطاع النَّفَسِ فلا خلافَ فيه، ولا تُعِدْ ما قبلَه إذا

(١) أخرجه الطبري ٢٤/ ٦٥٢ عن الكلبي وابن زيد، وذكره ابن عطية بنحوه في المحرر الوجيز ٥/ ٥٢٥ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) سلف ص٤٩٦ من هذا الجزء.

(٣) النكت والعيون ٦/ ٣٤٨ ، والبيت لمحمد بن عبد الله النميري، كما في معجم الشعراء للمرزباني ص٣٤٢ ، وأخبار النساء لابن الجوزي ص ٢٤ ، ومعجم البلدان ٤/ ١٢ ، ووقع في هذه المصادر عدا النكت والعيون: تشتو بمكة...، قال السمين في عمدة الحفاظ ٢/ ١٣٠٤ : الظاهر أن لامه واو، فيقال: شتا يشتو، وقد ذكره الهروي في مادة (شتو)، وإن كان الراغب قد ذكره في مادة (شتي).

(٤) في أحكام القرآن ٤/ ١٩٦٩ .

(٥) في النسخ: ينتزع، والمثبت من أحكام القرآن.

اعتراك ذلك، ولكن ابدأ من حيث وقف بك[١] نَفَسُك. هذا رأيي فيه، ولا دليلَ على ما قالوه بحالٍ، ولكنّي أَعتمِدُ الوقفَ على التمام، كراهيةَ الخروجِ عنهم.

قلت: ومن الدليل على صحة هذا، قراءةُ النبيِّ ﷺ: «الحمد لِلهِ رب العَالَمِين» ثم يقف، «الرحْمَنِ الرَّحِيم» ثم يقف. وقد مضى في مُقَدِّمة الكتاب[٢].

وأجمع المسلمون أنَّ الوقف عند قوله: «كَعَصْفٍ مَأْكولٍ» ليس بقبيح. وكيف يقال إنَّه قبيحٌ وهذه السورةُ تُقْرأ في الركعة الأولى والتي بعدها في الركعة الثانية، فيتخلَّلُها مع قطعِ القراءةِ أركانٌ؟ وليس أحدٌ من العلماء يكره ذلك، وما كانت العلَّةُ فيه إلَّا أنَّ قوله تعالى: «فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مأكولٍ» انتهاءُ آية. فالقياسُ على ذلك: ألَّا يمتنعَ الوقفُ عند أعجازِ الآياتِ سواءٌ كان الكلامُ يتم، والغرضُ ينتهي، أولايتم، ولا ينتهي. وأيضًا فإنَّ الفواصل حِليةٌ وزِينةٌ للكلام المنظوم، ولولاها لم يَتَبَيَّن المنظومُ من المنثور. ولا خفاءَ أنَّ الكلام المنظومَ أحسن، فثبت بذلك أنَّ الفواصل من محاسن الكلام المنظوم، فَمَن أَظْهَرَ فواصلَه[٣] بالوقوف عليها فقد أبدى محاسنَه، وتركُه[٤] الوقوفَ يُخفي تلك[٥] المحاسن، ويُشَبِّه المنظوم بالمنثور، وذلك إخلالٌ بحقِّ المقروء.

الثانية: قال مالك[٦]: الشتاءُ نصفُ السنة، والصيفُ نصفُها، ولم أَزَلْ أرى ربيعةَ ابنَ أبي عبد الرحمن ومَن معه لا يخلَعون عمائمهم حتى تطلع الثُّرَيَّا، وهو يومُ التاسع

---

(١) في النسخ الخطية: به، والمثبت من (م) وأحكام القرآن.

(٢) ١/ ١٩ .

(٣) في (د) و(ز) و(ي): مواصلة.

(٤) في (م): وترك.

(٥) في (ز) و(ظ) و(ي): ذلك، وفي (د): على ذلك.

(٦) من هذا الموضع إلى آخر المسألة الرابعة نقله المصنف من أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٩٦٩ - ١٩٧٠ .

عَشَرَ من بشنس[١]، وهو يومُ خمسةٍ وعشرين من عددِ الرومِ أو الفرس. وأراد[٢] بطلوع الثريا أن يخرج السُّعاة، ويسير الناس بمواشيهم إلى مياههم، وأنَّ طلوع الثريا أوّلُ الصيفِ ودُبُر الشتاء. وهذا ممَّا لا خلافَ فيه بين أصحابه عنه. وقال عنه أشهبُ وحده: إذا سقَطَتِ الهَقْعَة[٣] نقصَ الليل.

فلمَّا جُعل طلوعُ الثريا أوّلَ الصيف، وَجَبَ أن يكون له في مُطْلَقِ السنةِ[٤] ستةُ أشهرٍ، ثم يُستقبل الشتاءُ من بعد ذهاب الصيف ستةَ أشهر. وقد سئل محمد بن عبد الحكم عمَّن حلف ألَّا يكلِّم امْرَأً حتى يدخل الشتاء؟ فقال: لا يكلِّمه حتى يَمضيَ سبعةَ عَشَرَ من هتور[٥]. ولو قال: حتى يدخل الصيف، لم يكلِّمه حتى يمضي سبعةَ عَشَرَ من بشنس. قال القُرْطيُّ[٦]: أمَّا ذِكْرُ هذا عن محمد في بشنس[٧] فهو سهوٌ، إنَّما هو تسعة عشر من بشنس؛ لأنَّك إذا حسبتَ المنازل على ما هي عليه، من ثلاثَ عَشْرَةَ ليلةً كل منزلة، علمت أنَّ ما بين تسع عشرةَ من هتور[٨] لا تنقضي منازلُه إلَّا بدخول تسع عشرة من بشنس. والله أعلم.

الثالثة: قال قومٌ: الزمانُ أربعةُ أقسام: شتاءٌ، وربيعٌ، وصيفٌ، وخرِيف.

---

(١) في النسخ الخطية: بشانس، والمثبت من (م) وأحكام القرآن، وهو من شهور القبط، قال القلقشندي في صبح الأعشى ٢/ ٣٨٧ : ودخوله في الخامس والعشرين من نيسان من شهور السريان، وآخره التاسع والعشرون من أيار منها.

(٢) في النسخ: وأرى: وهو موافق لإحدى نسخ أحكام القرآن مذكورة في الحاشية، والمثبت من مطبوع أحكام القرآن.

(٣) منزل من منازل القمر، وهي رأس الجوزاء، وصورتها ثلاثة أنجم صغار مثفَّاة، وهي آخر أنواء الخريف. ينظر العمدة ٢/ ٢٥٦ ، والأزمنة والأمكنة ١/ ١٧٨ ، وينظر كذلك ما سلف ١٧/ ٤٤٦ .

(٤) في مطبوع أحكام القرآن: وجب أن يكون له شطر السنة.

(٥) في (م): هاتور، وهو من شهور القبط، ودخوله في السابع والعشرين من تشرين الأول، وآخره الخامس والعشرون من تشرين الثاني. صبح الأعشى ٢/ ٣٨٤ .

(٦) في (ظ) و(م): القرطي، وهو تصحيف. والقُرْطيُّ هو أبو إسحاق محمد بن القاسم بن شعبان الفقيه المالكي. ينظر الأنساب ١٠/ ١٠٠ ، والديباج المذهب ٢/ ١٩٤ .

(٧) من قوله: قال القرطي، إلى هذا الموضع ليس في مطبوع أحكام القرآن.

(٨) في (م): هاتور.

وقال قومٌ: هو شتاءٌ، وصيفٌ، وقَيظٌ، وخريف. والذي قاله مالكٌ أصح؛ لأنَّ قسمة اللهِ للزمان[١] قسمين ولم يجعل لهما ثالثًا.

الرابعة: لمَّا امتنَّ الله تعالى على قريش برحلتين، شتاءً وصيفاً، على ما تقدَّم، كان فيه دليلٌ على جوازِ تصرُّفِ الرجلِ في الزمانين بين محلَّين، يكون حالُهما في كلِّ زمانٍ أنعمَ من الآخر، كالجلوس في المجلس البَحْريِّ في الصيف، وفي القِبْليِّ في الشتاء، وفي اتِّخاذ البادَهنجات[٢] والخيشِ للتبريد، واللبدِ واليانوسةِ للدِّفْء.

قوله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝٣﴾

أمرهم الله تعالى بعبادته وتوحيده لأَجْلِ إيلافِهم رحلتين. ودخلت الفاءُ لأَجْلِ ما في الكلام من معنى الشرط؛ لأنَّ المعنى: إمَّا لا فلْيعبدوه لإيلافهم، على معنى أنَّ نعم الله تعالى عليهم لا تُحْصَى، فإنْ لم يعبدوه لسائرِ نعمه، فليعبدوه لشأنِ هذه الواحدة، التي هي نعمةٌ ظاهرة[٣].

والبيت: الكعبة. وفي تعريف نفسِه لهم بأنَّه ربُّ هذا البيتِ وجهان: أحدهما: لأنه كانت لهم أوثانٌ فميَّز نفسَه عنها. الثاني: لأنَّهم بالبيت شُرِّفوا على سائر العرب؛ فذَكَر لهم ذلك، تذكيراً لنعمته[٤].

وقيل: «فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هذا البيتِ» أي: ليألَفوا عبادةَ ربِّ الكعبة، كما كانوا يألَفون الرحلتين[٥]. قال عكرمة: كانت قريشٌ قد أَلِفوا رحلةً إلى بُصْرَى ورحلةً إلى اليمن، فقيل لهم: «فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هذا البيتِ» أي: يقيموا بمكة[٦]. رحلةُ الشتاءِ إلى

(١) في أحكام القرآن: لأجل قسمة الله الزمان. وفي اللباب ٢٠/ ٥٠٩ نقلاً عن القرطبي: لأن الله قسم الزمان.

(٢) البادهنج معرب بادخون أو باكير وهو نافذة تفتح في السقف لعبور الهواء، أو المنفذ الذي يجيء منه الريح، وسماه بعضهم: راووق النسيم. والراووق: المصفاة. ينظر شفاء الغليل للشهاب الخفاجي ص٧٠ ، والمعجم الذهبي ص٩١ و٩٢ .

(٣) الكشاف ٤/ ٢٨٧ .

(٤) في النكت والعيون ٦/ ٣٤٨ (والكلام منه): بنعمته.

(٥) النكت والعيون ٦/ ٣٤٨ ، وأخرجه الطبري ٢٤/ ٦٥٣ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٦) أخرجه الطبري ٢٤/ ٦٥١ .

اليمن، والصيف إلى الشام.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾ أي: بعدَ جوع ﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾، قال ابن عباس: وذلك بدعوةِ إبراهيم عليه السلام حيث قال: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [البقرة: ١٢٦][١].

وقال ابن زيد: كانت العرب يُغِيرُ بعضُها على بعضٍ، ويَسْبي بعضُها من بعضٍ، فأَمِنتْ قُرَيشٌ من ذلك لمكان الحرم، وقرأ: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [القصص: ٥٧][٢].

وقيل: شقَّ عليهم السفر في الشتاء والصيف، فألقى الله في قلوب الحَبَشَةِ أن يحملوا إليهم طعاماً في السفن، فحملوه، فخافت قريشٌ منهم، وظنُّوا أنهم قَدِموا لحربهم، فخرجوا إليهم مُتَحَرِّزين، فإذا هم قد جَلَبوا إليهم الطعامَ، وأعانوهم[٣] بالأقوات[٤]. فكان أهلُ مكة يخرجون إلى جُدَّة بالإبل والحُمُر، فيشترون الطعام، على مسيرة ليلتين.

وقيل: هذا الإطعامُ هو أنَّهم لمَّا كذَّبوا النبيَّ ﷺ دعا عليهم، فقال: «اللهمَّ اجْعَلْها عليهم سِنِينَ كَسِنِيِّ يُوسفَ»[٥] فاشتدَّ القَحْطُ، فقالوا: يا محمدُ، ادعُ الله لنا فإنَّا مؤمنون. فدعا فأَخصبَتْ تَبالةُ وجُرَشُ من بلاد اليمن، فحملوا الطعامَ إلى مكة، وأَخْصَبَ أهلها.

---

(١) أخرجه الطبري ٢٤/ ٦٥٣ و٦٥٤ .

(٢) أخرجه الطبري ٢٤/ ٦٥٥ .

(٣) في (م): وأغاثوهم.

(٤) النكت والعيون ٦/ ٣٤٨ ، وأولُه: أن جوعاً أصابهم في الجاهلية فألقى الله في قلوب الحبشة...

(٥) أخرجه أحمد (٧٢٦٠)، والبخاري (٦٢٠٠)، ومسلم (٦٧٥) من حديث أبي هريرة ﷺ، وسلف ٤/ ٣٠٤ .

وقال الضحَّاك والربيع وشَرِيكٌ وسفيان: «وآمنهم مِنْ خَوْفٍ» أي: من خوفِ الجُذام، لا يصيبُهم ببلدهم الجُذام[١].

وقال الأعمش: «وآمنهم مِنْ خَوْفٍ» أي: من خوفِ الحَبَشةِ مع الفيل[٢].

وقال عليٌّ ﷺ: وآمنهم مِن أن تكون الخلافةُ إلَّا فيهم[٣].

وقيل: أي: كفاهم أخذَ الإيلافِ من الملوك. فالله أعلم، واللفظُ يعم.

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٥٣١ ، وأخرجه الطبري عن الضحاك وسفيان.

(٢) النكت والعيون ٦/ ٣٤٩ . وأخرجه ابن أبي حاتم، كما في الدر المنثور ٦/ ٣٩٨ .

(٣) النكت والعيون ٦/ ٣٤٩ . قال الألوسي في روح المعاني ٣٠/ ٢٤١ : وهذا من البطلان بمكان لا يخفَى.

تفسير سورة لإيلاف قريش

وهى مكية .

ذكر حديث غريب فى فضلها : قال البيهقى فى كتاب « الخلافيات » : حدثنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا بكر بن محمد بن حمدان الصيرفى بمرو ، حدثنا أحمد بن عُبَيد الله النرسى (1) ، حدثنا يعقوب بن محمد الزهرى ، حدثنا إبراهيم بن محمد بن ثابت بن شرحبيل ، حدثنى عثمان بن عبد الله [بن] (2) أبى عتيق ، عن سعيد بن عمرو بن جعدة بن هبيرة ، عن أبيه ، عن جدته أم هانئ بنت أبى طالب ؛ أن رسول الله ﷺ قال : « فضل الله قريشاً بسبع خلال : أنى منهم (3)، وأن النبوة فيهم ، والحجابة ، والسقاية فيهم ، وأن الله نصرهم على الفيل ، وأنهم عبدوا الله ، عز وجل ، عشر سنين لا يعبده غيرهم ، وأن الله أنزل فيهم سورة من القرآن » ثم تلاها رسول الله : ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم . لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ . إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ . فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ . الَّذِى أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ** ﴾ (4) .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِى أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ (٤) ﴾ .

هذه السورة مفصولة عن التى قبلها فى المصحف الإمام ،كتبوا بينهما سطر ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم** ﴾ وإن كانت متعلقة بما قبلها . كما صرح بذلك محمد بن إسحاق وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ؛ لأن المعنى عندهما : حبسنا عن مكة الفيل وأهلكنا أهله ﴿ **لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ** ﴾ أى : لائتلافهم واجتماعهم فى بلدهم آمنين .

وقيل : المراد بذلك ما كانوا يألفونه من الرحلة فى الشتاء إلى اليمن ، وفى الصيف إلى الشام فى المتاجر وغير ذلك ، ثم يرجعون إلى بلدهم آمنين فى أسفارهم ؛ لعظمتهم عند الناس ، لكونهم سكان حرم الله ، فمن عرَفهم احترمهم ، بل من صوفى إليهم وسار معهم أمن بهم . هذا (5) حالهم فى أسفارهم ورحلتهم فى شتائهم وصيفهم . وأما فى حال إقامتهم فى البلد ، فكما قال الله : ﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ** ﴾ [العنكبوت:٦٧]. ولهذا قال: ﴿ **لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ . إِيلَافِهِمْ** ﴾ ، بدل من الأول ومفسر له . ولهذا قال : ﴿ **إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ** ﴾ .

---

(1) فى م ، أ ، هـ : « الزينبى » وهو خطأ . (2) زيادة من م ، أ . (3) فى أ : « أنى فيهم » .

(4) ورواه البيهقى فى مناقب الشافعى (١/ ٣٤) وهو فى المستدرك (٢/ ٥٣٦) وقال الحاكم : « صحيح الإسناد ولم يخرجاه »،وتعقبه الذهبى فقال : « فيه يعقوب بن محمد الزهرى ضعيف ، وإبراهيم صاحب مناكير هذا أنكرها » وقد حسن الحافظ العراقى هذا الحديث . وللشيخ ناصر الدين الألبانى مبحث حول هذا الحديث فى السلسلة الصحيحة برقم (١٩٤٤) ذهب إلى تحسينه ، والله أعلم .

(5) فى م : « وهذا » .

وقال ابن جرير : الصواب أن « اللام » لام التعجب ، كأنه يقول : اعجبوا لإيلاف قريش ونعمتى عليهم فى ذلك . قال : وذلك لإجماع المسلمين على أنهما سورتان منفصلتان مستقلتان (١) .

ثم أرشدهم إلى شكر هذه النعمة العظيمة فقال : ﴿ **فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ** ﴾ أى : فليوحدوه بالعبادة ، كما جعل لهم حرما آمنا وبيتا محرما ، كما قال تعالى : ﴿ **إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ** ﴾ [النمل: ٩١] .

وقوله : ﴿ **الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ** ﴾ أى : هو رب البيت ، وهو الذى أطعمهم من جوع ، ﴿ **وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ** ﴾ أى : تفضل عليهم بالأمن والرخص(٢) ، فليفردوه بالعبادة وحده لا شريك له، ولا يعبدوا من دونه صنماً ولا نداً ولا وثناً . ولهذا من استجاب لهذا الأمر جَمَعَ الله له بين أمن الدنيا وأمن الآخرة ، ومن عصاه سلبهما منه ، كما قال تعالى : ﴿ **وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ . وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ** ﴾ [النحل: ١١٢، ١١٣] .

وقد قال ابن أبى حاتم : حدثنا عبد الله بن عمرو العَدَنى ، حدثنا قَبيصة ،حدثنا سفيان ، عن ليث ، عن شهر بن حوشب ، عن أسماء بنت يزيد قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول: « ويل أمكم ، قريش ، لإيلاف قريش » (٣). ثم قال :

حدثنا أبى ، حدثنا المؤمَّل بن الفضل الحرانى ، حدثنا عيسى ــ يعنى ابن يونس ــ عن عُبيد الله ابن أبى زياد ، عن شهر بن حوشب ، عن أسامة بن زيد قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف . ويحكم يا معشر قريش ، اعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمكم من جوع وآمنكم من خوف » .

هكذا رأيته عن أسامة بن زيد ، وصوابه عن أسماء بنت يزيد بن السكن ، أم سلمة الأنصارية ، رضى الله عنها (٤). فلعله وقع غلط فى النسخة أو فى أصل الرواية ، والله أعلم .

آخر تفسير سورة « لإيلاف قريش »

---

(١) تفسير الطبرى (٣٠/ ١٩٨) .

(٢) فى أ : « والترخص » .

(٣) ورواه الطبرانى فى المعجم الكبير (٢٤/ ١٧٧، ١٧٨) من طريق قبيصة بن عقبة ، عن سفيان ، به .

(٤) وكذا فى رواية الإمام أحمد فى المسند (٦/ ٤٦٠) عن على بن يحيى ، عن عيسى بن يونس ، عن عبد الله بن أبى زياد ، عن شهر بن حوشب ، عن أسماء بنت يزيد عن النبى ﷺ .

سورة قريش

مكّيّة، وهي أربع آياتٍ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ٤﴾

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ متعلّق بقوله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟﴾، و"الفاء" لِما في الكلام مِن معنى الشّرط؛ إذ المعنى أنّ نِعَم الله تعالى عليهم غيرُ محصورة، فإن لم يعبدوه لسائر نِعَمه فليعبدوه لهذه النعمة الجليلة. وقيل: بمضمر، تقديره: فعلنا ما فعلنا مِن إهلاك أصحاب الفيل ﴿لِإِيلَٰفِ﴾... إلخ. وقيل: تقديره: اعجبوا لإيلاف. وقيل: بما قبله مِن قوله تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ﴾ [الفيل، ١٠٥/٥]، ويؤيّده أنّهما في مصحف أُبيّ سورةٌ واحدة بلا فصل.[١]

والمعنى أهلك مَن قصدهم مِن الحبشة ليتسامع الناس بذلك فيتهيّبوا لهم زيادة تهيُّب، ويحترموهم فضلَ احترام، / حتّى ينتظم لهم الأمن في رحلتهم، فلا [٣٢١و]
يجترئ عليهم أحد. وكانت لقريش رحلتان: يرحلون في الشتاء إلى اليمن، وفي الصيف إلى الشام، فيمتارون ويتّجرون، وكانوا في رحلتيهم آمنين؛ لأنّهم أهل حَرَم الله تعالى وولاةُ بيته العزيز، فلا يُتعرَّض لهم، والناس بين متخطَّف ومنهوب.

والإيلاف مِن قولك: "آلفتُ المكان إيلافًا" إذا أَلِفتَه، وقُرئ: "لِإِلَافِ قُرَيْشٍ"،[٢] أي: لمُوَالَفتهم. وقيل: يقال: "ألفتُه إلْفًا وإلَافًا"، وقُرئ: "لِإِلْفِ قُرَيْشٍ".[٣] وقريش ولد النضر بن كِنانة، سُمّوا بتصغير القِرْش، وهو دابّة عظيمة في البحر

---

١ هذه الأقوال في الكشّاف للزمخشري، ٦٠٦/٤.

٢ قرأ بها ابن عامر. النشر لابن الجزري، ٤٠٣/٢.

٣ قراءة شاذّة، نسبها الزمخشري في الكشّاف، ٦٠٦/٤، إلى أبي جعفر، والصحيح عن أبي جعفر فيها مِن غير همز، فالظاهر أنّها مِن المروي عنه في غير الصحيح.

تعبث بالسُّفن ولا تطاق إلّا بالنار، والتصغير للتعظيم، وقيل: مِن القَرْش، وهو الكسب؛ لأنّهم كانوا كسّابين بتجاراتهم وضَرْبهم في البلاد.

وقوله تعالى: ﴿إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ﴾ بدل مِن الأوّل، و﴿رِحۡلَةَ﴾ مفعول لـ﴿إِۦلَٰفِهِمۡ﴾، وإفرادُها مع أنّ المراد "رحلتي الشتاء والصيف" لأمن الإلباس، وفي إطلاق الإيلاف عن المفعول أوّلًا وإبدال هذا منه تفخيم لأمره، وتذكيرُ تعظيم النعمة فيه. وقُرئ: "لِيَأْلَفَ قُرَيشٌ إِلْفَهُمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ"،[١] وقُرئ: "رُحْلَةَ"[٢] بالضمّ، وهي الجهة التي يُرحَل إليها.

﴿فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم﴾ بسبب تينك الرحلتين اللتين تمكّنوا منهما بواسطة كونهم مِن جيرانه. ﴿مِّن جُوعٖ﴾ شديد كانوا فيه قبلهما. وقيل: أريدَ به القحط الذي أكلوا فيه الجِيَف والعِظام.[٣] ﴿وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ﴾ عظيم لا يُقادَر قَدْره وهو خوف أصحاب الفيل، أو خوف التخطّف في بلدهم ومسائرهم. وقيل: خوفُ الجذّام، فلا يصيبهم في بلدهم.[٤]

عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «مَن قرأ سورة قريش أعطاه الله عشرَ حسنات بعدد مَن طاف بالكعبة واعتكف بها».[٥]

---

١ قراءة شاذّة، مرويّة عن عكرمة. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ١٩٦١.

٢ قراءة شاذّة، مرويّة عن أبي السمّال. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٨١.

٣ القول في الكشّاف للزمخشري، ٦٠٧/٤.

٤ القول في الكشّاف للزمخشري، ٦٠٧/٤.

٥ الكشف والبيان للثعلبي، ٣٠٤/٣٠ (قريش، ١/١٠٦)؛ التفسير الوسيط للواحدي، ٥٥٥/٤ (قريش، ١/١٠٦)؛ الكشّاف للزمخشري، ٦٠٧/٤. وهو جزء مِن حديث أبيّ بن كعب رضي الله عنه في فضائل السور. انظر: الموضوعات لابن الجوزي، ٢٤٠/١.

سورة قريش

ويقال: سورة لإيلاف قريش. وهي مكيةٌ في قول الجمهور، مدنيةٌ في قول الضحاك وابن السائب. وآيُها خمسٌ في الحجازي، وأربعٌ في غيره[1].

ومناسبتها لِمَا قبلها أظهرُ من أنْ تخفَى، بل قالت طائفةٌ: إنَّهما سورةٌ واحدةٌ، واحتجُّوا عليه بأنَّ أُبيَّ بن كعب لم يفصل بينهما في مصحفه بالبسملة[2]، وبما[3] روي عن عمرو بنِ ميمون الأودي[4] قال: صلَّيتُ المغربَ خلفَ عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه، فقرأ في الركعة الأولى «والتين» وفي الثانية «ألم تر» و«لإيلاف قريش» من غير أن يفصلَ بالبسملة[5].

وأُجيبَ بأنَّ جمعاً أثبتُوا الفصل في مصحف أُبيٍّ، والمثبِت مقدَّم على النافي، وبأنَّ خبرَ ابن ميمون إنْ سلِّمَت صحتُه محتملٌ لعدم سماعه، ولعلَّه قرأها سرًّا.

ويدلُّ على كونها سورةً مستقلةً ما أخرج البخاري في «تاريخه» والطبراني والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في «الخلافيات» عن أمِّ هانئ بنت أبي طالب أنَّ رسول الله ﷺ قال: «فضَّل الله تعالى قُريشاً بسبع خصالٍ، لم يُعْطَها أحدٌ قبلَهم، ولا يُعطَاها أحدٌ بعدهم: أنِّي فيهم - وفي لفظ: النبوَّة فيهم - والخلافةُ فيهم، والحجابةُ فيهم، والسقايةُ فيهم، ونُصِروا على الفيل، وعَبَدوا الله تعالى سبْعَ

---

(١) في هامش الأصل: اختلافها آية ﴿مِّن جُوعٍ﴾ حجازي. اهـ منه.

(٢) الكشاف ٤/ ٢٨٧، وتفسير البغوي ٤/ ٥٢٩، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٤٩٥.

(٣) في الأصل و(م): بما، والصواب ما أثبتناه، وينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ٤٩٥.

(٤) في الأصل و(م): الأزدي، والصواب ما أثبتناه، وقال عنه الحافظ في التقريب: مخضرم مشهور، ثقة عابد.

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٣٦٦ لعبد بن حميد وابن الأنباري في المصاحف.

سنينَ ـ وفي لفظ: عشرَ سنينَ ـ لم يعبُدْه سبحانه أحدٌ غيرهم، ونزلَت فيهم سورةٌ من القرآن لم يُذكر فيها أحدٌ غيرهم ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾»[١] وجاء نحو هذا الأخير في خبرَين آخرَين أحدهما عن الزبير بن العوام يرفعه[٢]، والثاني عن سعيد بن المسيب عنه ﷺ[٣]. ويُؤيِّد الاستقلالَ كونُ آيها ليسَت على نَمَط آيِ ما قبلها. وأنت تعلم أنَّه بعد ثبوتِ تواتر الفصل لا يحتاج إلى شيء مما ذكر.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ①﴾ الإيلاف على ما قال الخفاجي: مصدرُ أَلِفْتُ الشيءَ وآلَفْتُه من الإلف[٤]. وهو كما قال الراغب: اجتماعٌ مع التئام[٥]. وقال الهروي في «الغريبَين»: الإيلافُ عهودٌ بينهم وبين الملوك، فكان هاشم يؤالفُ ملك الشام، والمطلب كسرى، وعبدُ شمس ونوفل يُؤالفان ملك مصر والحبشة، قال: ومعنى يؤالف يعاهِدُ ويصالح، وفعلُه: آلَفَ، على وزن فاعل، ومصدره: إلاف، بغير ياء بِزِنَة: قِتَال. أو: أَلَفَ الثلاثي كـ: كَتَبَ كتاباً. ويكون الفعلُ منه أيضاً [آلَفَ] على وزن أَفْعَلَ مثل آمَنَ، ومصدرُه إيلاف كإيمان[٦].

وحملُ الإيلاف على العهود خلافُ ما عليه الجمهور، كما لا يخفَى على المتتبِّع.

---

(١) التاريخ الكبير ١/ ٣٢١، والمعجم الكبير ٢٤/ (٩٩٤)، والمستدرك ٢/ ٥٣٦، وعزاه لابن مردويه والبيهقي السيوطيُّ في الدر المنثور ٦/ ٣٩٦، ٣٩٧.
قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٢٤: وفيه من لم أعرفه. اهـ. وفي سند الحديث: إبراهيم بن محمد بن ثابت، قال الذهبي في تلخيص المستدرك: وإبراهيم صاحب مناكير هذا أَنْكَرُها.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٩١٧٣)، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٦٤/ ١٥، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٢٤: وفيه من ضُعِّف ووثقهم ابن حبان.

(٣) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد ٧/ ١٩٥.

(٤) حاشية الشهاب ٨/ ٤٠٠.

(٥) مفردات الراغب (ألف).

(٦) حاشية الشهاب ٨/ ٤٠٠، وما بين حاصرتين منه.

وفي «البحر»: إيلاف: مصدر آلَفَ رباعيًّا، وإلاف: مصدرُ أَلِفَ ثلاثيًّا، يقال: أَلِف الرجلُ الأمر إلْفاً وإلافاً، وآلَفَ غيرَه إياه، وقد يأتي آلف متعدِّياً لواحد كأَلِفَ ومنه قوله:

مـن الـمُـؤْلِفَـات الـرمـلَ أدمـاءُ حُـرَّةٌ شُعاعُ الضُّحى في جِيدها يتوضَّحُ[1]

وسيأتي إن شاء الله تعالى ما في ذلك من القراءات.

وقريش وَلَدُ النَّضر[2] بن كنانة، وهو أصحُّ الأقوال وأثبتُها عند القرطبي[3]، قيل: وعليه الفقهاء؛ لظاهر ما روي أنَّه عليه الصلاة والسلام سُئل: مَن قريشٌ؟ فقال: «مِن وَلَدِ النَّضر»[4].

وقيل: وَلَد فِهْر بنِ مالك بن النضر، وحُكي ذلك عن الأكثرين، بل قال الزبير بن بكَّار: أجمع النَّسَّابون من قريش وغيرهم على أنَّ قريشاً إنما تفرَّقَت عن فِهْر، واسمُه عند غيرِ واحدٍ قريش، وفِهْر لَقبُهُ، ويُكنَى بأبي غالب.

وقيل: وَلَدُ مخلد[5] بن النضر. وهو ضعيف، وفي بعض السير أنَّه لا عقب للنضر بن كنانة إلا مالك، وأضعفُ من ذلك - بل هو قولُ رافضيٍّ يُريدُ به نَفْي حَقِّيَّة خلافةِ الشيخَين - أنَّهم وَلَدُ قصي بن حكيم، وقيل: عروة، المشهور بلقبه كلاب لكثرة صيدِه، أو لمكالبته، أي: مواثَبته في الحرب للأعداء، نعم قصي جمَّع قريشاً في الحرم حتى اتَّخذوه مسكناً، بعد أن كانوا متفرِّقين في غيره، وهذا الذي عناه الشاعر بقوله:

(١) البحر المحيط ٨/ ٥١٤، والبيت لذي الرمة، وهو في ديوانه ٢/ ١١٩٧، وفي المصدرَين: مَتْنِها، بدل: جيدها.

(٢) جاء في هامش الأصل: بالفتح والسكون، واسمُه قيس، لُقِّب به لنضارته وحسنه. اهـ منه.

(٣) في تفسيره ٢٢/ ٤٩٨-٤٩٩.

(٤) أخرجه أحمد (٢١٨٣٩)، وابن ماجه (٢٦١٢) من حديث الأشعث بن قيس رضي الله عنه.

(٥) كذا في الأصل و(م) وحاشية الشهاب ٨/ ٤٠٠، وفي تاريخ اليعقوبي ١/ ٢٣٣، وجمهرة أنساب العرب ص١١: يخلد.

أبونا قُصَيٌّ كان يُدعَى مُجَمِّعا ... به جَمَّع الله القبائل مِن فِهْرِ[1]

فلا يدلُّ على ما زعمه أصلاً.

وهو في الأصل تصغير «قَرش» بفتح القاف[2]، اسمٌ لدابَّة في البحر، أقوى دوابِّه، تأكل ولا تُؤكل، وتَعلُو ولا تُعلَى، وبذلك أجاب ابنُ عباس معاويةَ لَمَّا سأله: لِمَ سُمِّيت قُريشٌ قُريشاً؟ وتلك الدابة تسمَّى قَرشاً[3]، كما هو المذكور في كلام الحبر، وتسمَّى قُريشاً، وعليه قولُ تُبَّع كما حكاه عنه أبو الوليد الأزرقي، وأنشده أيضاً الحبر لمعاويةَ إلا أنَّه نسبَه للجمحي:

وقريشٌ هي التي تسكنُ البحـ ... ـرَ بها سُمِّيت قريشٌ قُريشا

تأكلُ الغثَّ والسمينَ ولاتتـ ... ـرُك يوماً لذي جناحَين رِيشا

هكذا في البلاد حيُّ قُرَيشٍ ... يأكلون البلادَ أكلاً كَمِيشا

ولهم آخرَ الزمان نبيٌّ ... يُكثِرُ القتلَ فيهم والخُموشا[4]

وقال الفراء: هو من التقرُّش بمعنى التكسُّب[5]، سُمُّوا بذلك لتجارتهم.

وقيل: من التقرِيْش وهو التفتيش، ومنه قول الحارث بن حلِّزة:

أيها الشامتُ المقرِّشُ عنَّا ... عند عمرو فهلْ لنا[6] إبقاءُ

---

(١) نُسب البيت لمطرود بن كعب الخزاعي كما في زهر الآداب للقيرواني ١/ ٢٥٠، والأوائل للعسكري ١/ ١٣، وتاج العروس (قرش). ونسبه محمد بن حبيب في المنمّق ص٨٤ لحذافة بن غانم. ونسبه صاحب الخزانة ١/ ٢٠٣ للفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب. وهو دون نسبة في سيرة ابن هشام ١/ ١٢٦، والاشتقاق ص١٥٥، ووقع في بعض المصادر: أبوكم قصي، وفي أخرى: قصي أبوكم، وفي السيرة: قصي لعمري.

(٢) حاشية الشهاب ٨/ ٤٠٠، وفي حياة الحيوان ٢/ ٢٤٧: بكسر القاف.

(٣) بفتح القاف، والعامة تكسره. حاشية الشهاب ٨/ ٤٠٠.

(٤) أخبار مكة للأزرقي١/ ١٠٩، وأخرج خبر ابن عباس الطبراني في الكبير (١٠٥٨٩)، ونُسبت الأبيات للمُشَمرج الحميري كما في معجم الشعراء للمرزباني ص ٤٣٦، وتاج العروس (قرش)، وذكر ياقوت في معجم البلدان (قريش) هذا الخبر مختصراً وقال: وهذا الوجه عندي بارد، والشعر مصنوع جامد.

(٥) البحر المحيط ٨/ ٥١٣.

(٦) جاء في هامش الأصل: له، في بعض النسخ. اهـ. وهو رواية حاشية الشهاب ٨/ ١٠٠ =

سُمُّوا بذلك لأنَّ أباهم كان يُفتِّش عن أرباب الحوائج ليقضيَ حوائجَهم، وكذا كانوا هم يفتشون على ذي الخَلَّة من الحاجِّ ليسُدُّوها.

وقيل: من التقرُّش وهو التجمُّع، ومنه قوله:

إخوةٌ قَرَّشُوا الذنوبَ علينا ... في حديثٍ مِن دَهْرِهِمْ وقديمِ[1]

سُمُّوا ذلك لتجمُّعهم بعد التفرُّق.

والتصغير إذا كان من المزيد تصغيرُ ترخيم، وإذا كان من ثلاثيٍّ مجرَّد فهو على أصله، وأيًّا ما كان فهو للتعظيم، مثلُه في قوله:

وكلُّ أناسٍ سوف تَدخُلُ بينَهم ... دُوَيْهِيَةٌ تَصْفَرُّ منها الأناملُ[2]

والنسبةُ إليه قُرَشي وقُرَيْشي كما في «القاموس»[3].

وأجمعوا على صَرْفه هنا، راعَوا فيه معنى الحيِّ، ويجوزُ منعُ صَرْفه ملحوظاً فيه معنى القبيلة، للعَلَميَّة والتأنيث، وعليه قوله:

وكَفَى قُريشَ المعضِلاتِ وسادَها[4]

وعن سيبويه أنَّه قال في نحو مَعَدٍّ وقُريشٍ وثَقيفٍ: هذه للأحياء أكثرُ، وإن

= والكلام منه. والبيت في المعاني الكبير لابن قتيبة ٢/ ٨٧٢، وتهذيب اللغة ٨/ ٣٢٢، وشرح المعلقات للنحاس ٢/ ٦٣، وللتبريزي ص٢٩٩، وللزوزني ص١٥٨، برواية: أيها الناطق... وهل لذاك بقاء، ووقع في شروح المعلقات والمعاني الكبير: المرقِّش، قال ابن قتيبة: والمقرش رواية أبي عمرو. وقال التبريزي: المرقش: المزيِّن القولَ بالباطل، ويقال: إنه يخاطب بها عمرو بن كلثوم، ومعنى: وهل لذاك بقاء: أن الباطل لا يبقى.

(١) البيت لأبي جِلدةَ اليشكري كما في سيرة ابن هشام ١/ ٩٤، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٤٩٩، ودون نسبة في البحر المحيط ٨/ ٥١٣.

(٢) البيت للبيد، وهو في ديوانه ص٢٥٦، وسلف ٢/ ١٩٩.

(٣) مادة (قرش).

(٤) وصدرُه: غَلَبَ المساميحَ الوليدُ سماحةً، وهو لعدي بن الرقاع، كما في الكامل للمبرد ٢/ ١٠٤٦، وشرح شواهد الكتاب للشنتمري ص٤٦٠، والخزانة ١/ ٢٠٣، ودون نسبة في الكتاب ٣/ ٢٥٠، والبحر المحيط ٨/ ٥١٤ والكلام منه. والبيت في مدح الوليد بن عبد الملك، والمساميح: جمع سَمْح على غير قياس. قاله الشنتمري.

جُعِلَت أسماءً للقبائل فجائزٌ حسن[١].

واللام في «لإيلاف» للتعليل، والجارُّ والمجرور متعلِّقٌ عند الخليل[٢] بقوله: «فليعبدوا»، والفاء لِمَا في الكلامِ من معنى الشرطِ، إذ المعنى: إنَّ نِعَمَ الله غيرُ محصورةٍ، فإنْ لم يعبدوا لسائرِ نعَمِهِ سبحانه فليعبدوا لهذه النعمةِ الجليلة، ولَمَّا لم تكن في جواب شرط محقَّق كانت في الحقيقة زائدةً، فلا يمتنعُ تقديمُ معمولِ ما بعدَها عليها.

وقوله تعالى: ﴿إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ۝٢﴾ بدلٌ من «إيلاف قريش»، و«رحلة» مفعولٌ به لـ «إيلافهم» على تقدير أنْ يكون من الألفة، أمَّا إذا كانت من المؤالفة بمعنى المعاهدة فهو منصوبٌ على نَزْع الخافض، أي: معاهدتهم على، أو: لأجلِ رحلة.. إلخ. وإطلاقُ الإيلاف ثم إبدال[٣] المقيَّد منه للتفخيم.

وروي عن الأخفش أنَّ الجارَّ متعلِّقٌ بمضمر، أي: فعلنا ما فعلنا من إهلاك أصحاب الفيل لإيلاف قريش[٤]. وقال الكسائي والفراء كذلك إلا أنَّهما قدَّرا الفعلَ بدلالة السياق «اعجبوا»، كأنَّه قيل: اعجبوا لإيلاف قريش رحلةَ الشتاء والصيف، وتركِهِم عبادةَ الله تعالى الذي أعزَّهم ورزقَهم وآمنهم، فلذا أَمَرهم بعبادة ربِّهم المنعمِ عليهم بالرزق والأمن عَقِبه، وقَرَنه بالفاء التفريعية[٥].

وعن الأخفش أيضاً أنَّه متعلِّقٌ بـ «جَعَلَهم كعصف» في السورة قبله، والقرآن كلُّه كالسورة الواحدة، فلا يضرُّ الفصل بالبسملة خلافاً لجمع، والمعنى: أهلَكَ سبحانه مَن قصَدَهم من الحبشة ولم يسلِّطْهم عليهم، ليبقَوا على ما كانوا عليه من إيلافهم

---

(١) الكتاب ٣/ ٢٥٠، ونقله عنه بواسطة البحر المحيط ٨/ ٥١٤.

(٢) ينظر الكتاب ٣/ ١٢٦-١٢٧، والبحر ٨/ ٥١٤.

(٣) في (م): إطلاق لإيلاف ثم أبدل، والعبارة في تفسير أبي السعود ٩/ ٢٠٢: وإطلاق الإيلاف عن المفعول أولاً ثم إبدال هذا منه تفخيمٌ لأمره.....

(٤) ينظر معاني القرآن للأخفش ٢/ ٧٤٣، والبحر المحيط ٨/ ٥١٤.

(٥) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٩٣، والبحر المحيط ٨/ ٥١٤، وذكر القول الشهاب دون نسبة في حاشيته ٨/ ٤٠٠، والكلام منه.

رحلةَ الشتاء والصيف، أو: أهلَكَ عز وجل مَن قصَدَهم ليعتبرَ الناسُ ولا يجترئ عليهم أحدٌ، فيتمَّ لهم الأمنُ في رحلتهم. ولا ينافي هذا كون إهلاكهم لكُفْرهم باستهانة البيتِ؛ لجواز تعليلِهِ بأمرَين، فإنَّ كلًّا منهما ليس علةً حقيقيةً ليمتنع التعدُّد.

وقال غيرُ واحد: إنَّ اللام للعاقبة، وكان لقريشٍ رحلتان، رحلةٌ في الشتاء إلى اليمن، ورحلةٌ في الصيف إلى بصرى من أرض الشام، كما روي عن ابن عباس، وكانوا في رحلتَيهم آمنين؛ لأنَّهم أهلُ حَرَمِ الله تعالى وولاةُ بيتِهِ العزيز، فلا يُتَعرَّض لهم، والناسُ بين متخَطَّفٍ ومَنْهُوب. وعن ابن عباس أيضاً: أنَّهم كانوا يرحلون في الصيف إلى الطائف حيث الماءُ والظلُّ، ويرحلون في الشتاء إلى مكة للتجارة وسائرِ أغراضهم.

وأُفرِدَت الرحلةُ مع أنَّ المراد رحلتا الشتاء والصيف، لأمْن اللَّبس وظهورِ المعنى، ونظيره قوله:

حمامةَ بطْنِ الوادِيَين ترنَّمي[1]

حيث لم يقل: بطنَي الوادِيَيْن، وقوله:

كلوا في بعضِ بَطْنكم تعفُّوا فإنَّ زمانَكم زَمَنٌ خَميص[2]

حيث لم يقل: بطونكم، بالجمع لذلك. وقولُ سيبويه: إنَّ ذلك لا يجوزُ إلا في الضرورة[3]، فيه نظر.

وقال النقَّاش: كانت لهم أربعُ رحلٍ. وتعقَّبه ابن عطية بأنَّه قولٌ مردودٌ[4].

وفي «البحر»[5]: لا ينبغي أنْ يُرَدَّ، فإنَّ أصحابَ الإيلاف كانوا أربعةَ إخوةٍ،

---

(١) سلف عند تفسير الآية (٤) من سورة التحريم.
(٢) الكتاب ١/ ٢١٠، ومعاني القرآن للفراء ١/ ٣٠٧، والبحر المحيط ٨/ ٥١٥، وسلف ١/ ٣٩٩.
(٣) الكتاب ١/ ٢٠٩، ونقله بواسطة البحر ٨/ ٥١٥.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢٢٦.
(٥) ٨/ ٥١٥.

وهم بنو عبد مناف هاشم، كان يؤالف ملكَ الشام، أخذَ منه خيْلاً[١] فأمِن به في تجارته إلى الشام؛ وعبد شمس يؤالف إلى الحبشة، والمطَّلبُ إلى اليمن، ونوفَل إلى فارس، فكان هؤلاء يُسمَّون المتَّجرين[٢]، فيختلفُ تَجْر قريش بخَيْل[٣] هؤلاء الإخوة، فلا يُتَعرَّض لهم. قال الأزهري: الإيلافُ شبه الإجارةِ بالخَفَارة، فإنْ كان كذلك جاز أنْ يكونَ لهم رحلٌ أربعٌ باعتبار هذه الأماكن التي كانت التجارةُ في خفارة[٤] هؤلاء الأربعة فيها، فيكون «رحلة» هنا اسمَ جنسٍ يصلح للواحد وللأكثر، وفي هؤلاء الإخوة يقول الشاعر:

يا أيها الرجلُ المحوِّلُ رَحْلَهُ ... هلَّا نزلْتَ بآل عبدِ مَنافِ

الآخذونَ العهدَ مِن آفاقها ... والراحلون لرحلةِ الإيلاف

والرائشون وليسَ يوجد رائشٌ ... والقائلون هلمَّ للأضياف

والخالطون غنيَّهم بفقيرهم ... حتى يصيرَ فقيرُهم كالكافي[٥]

انتهى. وفيه مخالفةٌ لِمَا نقلناه سابقاً عن الهروي، ثم إنَّ إرادةَ ما ذكر من الرحل الأربع غيرُ ظاهرة كما لا يخفى.

وقرأ ابن عامر: «لإلاف قريش» بلا ياء[٦]، ووجْهُ ذلك ما[٧] مرَّ، ولم تختلف السبعةُ في قراءة «إيلافهم» بالياء كما اختلفَت في قراءة الأول، ومع هذا رُسِم الأول

(١) كذا في الأصل و(م) والبحر، والصواب: حبلاً، ينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ٥٠١، وتهذيب اللغة ١٥/ ٣٧٩، والقاموس واللسان (ألف)، وجاء في تفسير القرطبي: حبلاً وعهداً.

(٢) كذا في الأصل و(م)، وفي البحر وتهذيب اللغة ١٥/ ٣٧٩: المجيرين.

(٣) كذا في الأصل و(م)، وفي البحر: بحبل، وهو الصواب كما ذكرنا، وجاء في تهذيب اللغة: بحبال.

(٤) الخفارة: الأمان. المعجم الوسيط (خفر).

(٥) البحر المحيط ٨/ ٥١٥، والأبيات بنحوها لمطرود بن كعب الخزاعي في سيرة ابن هشام ١/ ١٧٨، وأمالي المرتضى ٢/ ٢٦٨، والحماسة البصرية ١/ ١٥٥، وقال البصري: ويروى لابن الزبعرى.

(٦) التيسير ص٢٢٥، والنشر ٢/ ٤٠٣.

(٧) في الأصل: مما.

في المصاحف العثمانية بالياء، ورُسِم الثاني بغير ياء كما قاله السمين، وجعَلَ ذلك أحَدَ الأدلةِ على أنَّ القراء يتقيَّدون بالرواية سماعاً دون رَسْم المصحفِ، وذكر في وَجْه ذلك أنَّها رُسِمَت في الأول على الأصل وتركت في الثاني اكتفاءً بالأول[1]، وهو كما ترى فتدبر.

وروي عن أبي بكر عن عاصم أنَّه قرأ بهمزتَين فيهما الثانية ساكنة[2]، وهذا شاذٌّ وإنْ كان الأصل، وكأنَّهم إنَّما أبدلوا الهمزة التي هي فاء الكلمة لِثِقَل اجتماع همزتَين، وروى محمد بن داود النقَّار عن عاصم: «إئيلافهم» بهمزتَين مكسورتَين بعدَهما ياءٌ ساكنة[3] ناشئةٌ عن حركة الهمزة الثانية لَمَّا أُشْبِعَت، والصحيحُ رجوعُه عن القراءة بهمزتَين وأنَّه قرأ كالجماعة[4].

وقرأ أبو جعفر فيما حكى الزمخشريُّ: «لإلْفِ قريش»[5]. وقرأ فيما حكى ابن عطية: «إلْفِهم»[6]، وحُكِيَتْ عن عكرمة وابن كثير[7]، وأنشدوا:

زعمتُم أنَّ إخوتَكم قُريشٌ ... لهم إلْفٌ وليس لكم إلافُ[8]

وعن أبي جعفر أيضاً وابن عامر: «إلَافهم» على وزن فِعَال[9].

---

(١) الدر المصون ١١/ ١١٢.

(٢) السبعة ص٦٩٨، وجامع البيان للداني ٢/ ٤٩٤، والبحر المحيط ٨/ ٥١٤، وذكر ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٨٠ القراءة في الثانية فقط.

(٣) البحر المحيط ٨/ ٥١٤.

(٤) السبعة ص٦٩٨، وجامع البيان للداني ٢/ ٤٩٤-٤٩٥، والبحر المحيط ٨/ ٥١٤.

(٥) الكشاف ٤/ ٢٨٧، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٤٩٧، والبحر المحيط ٨/ ٥١٤، وهو خلاف المشهور عن أبي جعفر.

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٥٢٥، وهو أيضاً خلاف المشهور عنه.

(٧) تفسير القرطبي ٢٢/ ٥٠٠، والبحر المحيط ٨/ ٥١٤.

(٨) البيت لمسَاوِر بن هند، كما في شرح ديوان الحماسة للتبريزي ٤/ ١٢، والخزانة ١١/ ٤١٩، ودون نسبة في دلائل الإعجاز للجرجاني ص٢٣٦، والكشاف ٤/ ٢٨٧، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٤٩٧، والبحر المحيط ٨/ ٥١٤.

(٩) قراءة أبي جعفر في النشر ٢/ ٤٠٣، وقراءة ابن عامر في البحر المحيط ٨/ ٥١٤ وهي خلاف المشهور عنه.

وعن أبي جعفر أيضاً: «لِيْلَافِ» بياء ساكنة بعد اللام[١]، ووُجِّه بأنَّه لَمَّا أَبدل الثانية ياءً حَذَفَ الأُولى حذفاً على غير قياس.

وعن عكرمة: «ليأْلفَ قريشٌ» على صيغة المضارع المنصوب بـ «أنْ» مضمرة بعد اللام ورفع «قريش» على الفاعلية[٢]، وعنه أيضاً: «لِيأْلَفْ» على الأمر، وعنه وعن هلال بنِ فتيان بفَتْح لام الأمر[٣]. والظاهرُ أنَّ «إيلافهم» على جميع ذلك منصوبٌ على المصدرية، ولم أرَ مَن تعرَّض له.

وقرأ أبو السمال: «رُحلة» بضم الراء، وهي حينئذٍ بمعنى الجهةِ التي يُرحَل إليها، وأما مكسورُ الراء فهو مصدرٌ على ما صرَّح به في «البحر»[٤].

﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝٣﴾ هو الكعبةُ التي حُمِيَت من أصحاب الفيل. وعن عمر أنَّه صلى بالناس بمكة عند الكعبة، فلمَّا قرأ (فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ) جعل يُوْمي بإصبَعه إليها وهو في الصلاة بين يدي الله تعالى.

﴿الَّذِي أَطْعَمَهُم﴾ بسبب تَيْنك الرحلتَين اللَّتَين تمكَّنوا منهما بواسطة كونهم من جيرانه[٥] ﴿مِّن جُوعٍ﴾ شديدٍ كانوا فيه قبلهما. وقيل: أُريدَ به القحْطُ الذي أكلُوا فيه الجِيَف والعظام.

﴿وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ عظيم لا يُقادَر قَدْرُه، وهو خوفُ أصحابِ الفيل، أو خوفُ التخطُّف في بلدهم ومَسَايِرِهم، أو خوفُ الجذام كما أخرج ذلك ابن جرير وغيرُه عن ابن عباس[٦]، فلا يصيبُهم في بلدهم فضلاً منه تعالى، كالطاعون.

---

(١) النشر ٢/ ٤٠٣.
(٢) القراءات الشاذة ص١٨٠، والبحر المحيط ٨/ ٥١٤.
(٣) القراءتان في البحر المحيط ٨/ ٥١٤، والثانية منهما ذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ١٨٠، والقرطبي في تفسيره ٢٢/ ٤٩٨ وقال: وكذلك هو في مصحف ابن مسعود.
(٤) ٨/ ٥١٤، وقراءة أبي السمال فيه.
(٥) في الأصل و(م): جيرانهم، وهو تصحيف، والمثبت من تفسير أبي السعود ٩/ ٢٠٢، والكلام منه.
(٦) تفسير الطبري ٢٤/ ٦٥٦.

وعنه أيضاً أنَّه قال: «أطعمَهم من جوع» بدعوة إبراهيمَ عليه السلام، حيث قال: ﴿وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [إبراهيم: ٣٧] و«آمنهم مِن خَوفٍ» حيث قال إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾[1] [البقرة: ١٢٦].

و«مِن» قيل: تعليليةٌ، أي: أنعمَ عليهم وأطعمَهم لإزالة الجوعِ عنهم، ويقدَّر المضافُ لتظهرَ صحةُ التعليل، أو يقالُ: الجوعُ علَّةٌ باعثةٌ ولا تقدير.

وقيل: بدليَّة، مثلُها في قوله تعالى: ﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْآخِرَةِ﴾ [التوبة: ٣٨].

وحكى الكرماني في «غرائب التفسير»[2]: أنَّه قيل في قوله تعالى: (وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ): إنَّ الخلافةَ لا تكون إلا فيهم، وهذا من البطلان بمكان كما لا يخفى.

وقرأ المسيِّبي عن نافع: «من خوف» بإخفاء النون في الخاء[3]، وحُكي ذلك عن سيبويه، وكذا إخفاؤها مع العين نحو: مِنْ عَلي[4]، مثلاً. والله تعالى أعلم.

---

(١) أخرجه الطبري ٢٤/ ٦٥٣-٦٥٤.

(٢) ويسمى الغرائب، وعجائب القرآن، والعجائب في تفسير القرآن الكريم، وهو لأبي القاسم محمود بن حمزة بن نصر الكرماني توفي بعد (٥٠٠هـ). كشف الظنون ٢/ ١١٩٧.

(٣) القراءات الشاذة ص١٨٠، والبحر المحيط ٨/ ٥١٥.

(٤) ينظر الكتاب ٤/ ٤٥٤، ونقله بواسطة البحر المحيط ٨/ ٥١٥.